



٩٠٨١٥٥ - - - - -

١ - الرّحلة ..

خيّم الهدوء على مبنى المخبرات العامة المصريّة ، في حين من
أحياء القاهرة ، وارتفعت حرارة الجو عن معدّلها الطبيعي ،
بالنسبة لذلك اليوم من منتصف (يونيو) ، وسرت في مصر
كلها موجة من التكاسل ، حيث أثر الناس الاسترخاء خلف
هواء مراوحهم ، أو أمام أجهزة تكييف الهواء ، وبدأ مسئول
الأمن أمام بوابة مبنى المخبرات متهاكًا ، ضجرًا ، وقد ألقى
جسده المتعب فوق مقعد وثير ، ومدّد قدميه فوق مقعد خشبي
صغير ، وحلّ رباط عنقه ، وتركه يتهدّل في إهمال فوق
قميصه ، الذي تبلّل بعرقه الغزير ، وبدت له نوبته الصباحية
تلك الطويلة مملة ، وبات يحلم باللحظة التي يصل فيها زميله ،
ليتسلّم منه النوبة ، أما داخل أروقة المبنى ، فعلى الرغم من
أجهزة التكييف التي تنتشر في كل مكان ، نجحت أشعة الشمس
في التسلّل عبر زجاج النوافذ ، فبدأ الجو خانقًا ، مكتومًا ، مما
جعل (منى) تهتف في عصبية :

— ياله من يوم !! كم يجعلنى أشواق لمغامراتنا في

(سييريا) .

أطلق (قدرى) ضحكة مرحة ، وقال :

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة
المخبرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

— ياله من تفكير متطرف يا (منى) !! .. أتأملين الفرار
من النار إلى الثلج دفعة واحدة .

ابتسمت في مروح ، وهى تقول :

— لو أنك تشارك (أدهم صبرى) مهامه مثلى ، ما أصابتك
الدهشة من أية أوضاع ، مهما بدت عجيبة ، فهو قادر على
أن يبعث في جسدك برودة الثلج ، وأنت تقف وسط أتون
مشتعل ..

قهقه (قدرى) ضاحكا ، وازتجج جسده البدين على نحو
جعل (منى) تنفجر ضاحكة بدورها ، وهو يقول :

— عجباً !! .. إنهم يحسدونك فى الإدارة على مشاركتك
له ، وأنت تقولين هذا .

توقفت (منى) عن الضحك ، وأطلت نظرة حانية من
عينها ، وهى تقول :

— صدقنى يا (قدرى) ، مهما بلغت المخاطر ، وأنت
تشارك (أدهم صبرى) مهامه ، فالعمل معه متعة لا تفوقها
متعة .

أوما (قدرى) برأسه موافقا ، وهو يقول فى جدية :

— كلنا هنا نعلم ذلك يا (منى) ، وكل فرد فى هذه
الإدارة يأمل أن تتاح له الفرصة للعمل مع (أدهم صبرى) .

وهنا ارتفع صوت (أدهم) يقول :

— هل هناك من يذكر اسمى ؟

التفت (قدرى) و (منى) إلى باب الحجرة ، حيث يقف
(أدهم) ، وابتسمت (منى) فى لهفة ، فى حين أطلق
(قدرى) ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد اعتدت التسلل فى خفة الثمر يا صديقى ..
إننى لم أشعر بقدمك إلا حينما تحدثت .

هز (أدهم) كتفيه ، وهو يقول مبتسما :

— إننى لم أقصد ذلك يا (قدرى) ، ولكنها غرائز تنمو
بحكم العادة ، ومن كثرة التعرض للمخاطر ، والتآلف معها .
ضحك (قدرى) وهو يقول :

— هل تعنى أنك قد تشهر مسدسك وأنت تفتح باب
الثلاجة ، أو تبدل ملامحك ، إذا ما أتاك ضيف غير مرغوب
فيه .

ابتسم (أدهم) ، وهو يرفع سبابته فى وجه (قدرى) ،
ويقول فى مروح :

— احترس أيها البدين ، فقد أطلق النار على من يمازحنى
أيضا ، وإن كنت أشك فى أنك تحتاج إلى قذيفة مدفع على
الأقل ، حتى يمكننا صنع ثقب صغير فى كرشك الضخمة هذه .

عاد (قدرى) يقهقه ضاحكًا فى مرح ، فى حين ابتسمت
(منى) ، وهى تسأل (أدهم) :

— هل تضايقت هذه الموجة الحارة يا (أدهم) ؟

هز (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— لقد قررت أن أفر منها يا (منى) .

ثم ابتسم وهو يستطرد :

— سنفر منها أنا وأنت و (قدرى) .

تطلع إليه (قدرى) و (منى) فى دهشة ، وتبادلا نظرة

حائرة ، قبل أن تهتف (منى) :

— ماذا تعنى يا (أدهم) ؟

السمعت ابتسامته ، وهو يقول :

— هل سمعنا عن (عروس المتوسط) ؟

هتف (قدرى) فى حماس :

— بالطبع .. إنها سفينة رائعة ، صنعها رجل أعمال

سويدي يدعى (تيدى فولسونج) ، وزودها بأفخر وأعظم

وسائل المتعة والترفيه ، وهو يستخدمها فى رحلات سياحية ،

عبر موانئ البحر المتوسط ، ويقال إن تلك الرحلات

السياحية ، على متن (عروس المتوسط) ، هى حلم رجال

الأعمال فى كل أنحاء العالم ، على الرغم من أن أجر الفرد يبلغ
مائتى ألف دولار للرحلة الواحدة .

مط (أدهم) شففيه ، وقال :

— هذا يعنى أننا قد حصلنا على ستمائة ألف دولار يرافق .

حدق (قدرى) فى وجهه بدهشة ، فى حين هتفت (منى)

فى انفعال :

— هل تعنى أن ؟

قاطعها (أدهم) ، وهو يتسهم فى هدوء :

— نعم يا عزيزتى ، لقد حصلت على ثلاث تذاكر مجانية ،

على متن (عروس المتوسط) .

قفزت (منى) فى سعادة ، وهى تصفق بكفها فى جذل ،

وتهتف :

— لقد جاءت هذه الرحلة فى موعدها تمامًا .

إلا أن (قدرى) عقد حاجبيه ، وهو يقول فى تشكك :

— ولكن كيف حصلت على هذه التذاكر الثلاث

يا (أدهم) .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— لقد حصل عليها فى الواقع شقيقى الدكتور (أحمد

صبرى) ، الذى يعمل فى السويد ، إذ ربطته صداقة قريبة
بالملياردير السويدي (تيدى فولسونج) ، بعد أن اصطدم هذا
الأخير بسيارة (أحمد) فى حركة خاطئة .. ونظرا لشهامة
(أحمد) وتسامحه ، أصبح الاثنان صديقين ، ومنذ أسبوع
أهداه (تيدى فولسونج) ثلاث تذاكر للرحلة الجديدة
لـ (عروس المتوسط) ، ولكن عمل (أحمد) لم يكن يسمح
له بالحضور إلى هنا ؛ لذا فقد أرسل إلى التذاكر الثلاث ، وهو
يتمنى لى قضاء وقت طيب .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

— مشاغل قوم عند قوم فوائد .

أما (قدرى) ، فعاد يسأل (أدهم) فى اهتمام :

— وهل تأكدت من ذلك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— إننى لست مبتدئا يا عزيزى البدين .. لقد أجريت

اتصالا هاتفيا مع شقيقى ، وبعد تبادل بعض العبارات المتفق

عليها بيننا ، والتى تؤكد شخصيته ، وأنه ليس تحت تأثير أى

نوع من القهر أو الإرغام ، أكد لى أمر هديته ، وتمنى لى مرة

أخرى قضاء وقت طيب .

تنهد (قدرى) فى ارتياح ، وقال :

— هكذا فقط أستطيع الاطمئنان ، وانتظار الرحلة .

هتفت (منى) فى لهفة :

— ومتى تبدأ الرحلة يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— فجر الغد يا (منى) ، وأراهنكما أنها ستكون رحلة

لا تُنسى .



انحنى شاب مفتول العضلات ، فارع الطول ، يشعل
بقذاحته سيجاراً فاخراً ، بين شفتي رجل متوسط الطول ،
أشيب الشعر ، حليق الوجه ، له حاجبان كثيفان ، داكن
السواد ، يخفيان عينيه الضيقتين ، اللتين تتألق وسطهما حدقتاه
الذهبيتان على نحو يوحي بالمكر والدهاء والقوة ، ونفت الأشيب
دخان سيجارته في هدوء ، قبل أن يتطلع إلى الشاب ، قائلاً :

— هل ابتلع الطعام ؟

ابتسم الشاب ، وقال :

— لم يكن أمامه سوى ذلك يا مستر (فولسونج) ،
فعبقريتك الفذة أعدت الحطة على نحو لا يسمح إلا بذلك .
ارتسمت ابتسامة مختالة على شفتي (تيدي فولسونج) ،
وقال وعينه تزدادان ضيقاً :

— إنك تنصر دائماً ، إذا ما تعاملت مع خصمك بعد
دراسته جيداً ، وبافتراض أنه يمتلك نفس القدر من الذكاء ،
الذي تمتلكه .

ثم تراجع في مقعده ، وهو يستطرد في ثقة أقرب إلى
الغرور :



هفت (منى) في لفة :

— ومنى تبدأ الرحلة يا (أدهم) ؟

— لقد افعلت حادث السيارة في مهارة ، وساعدتني طبيعة
الدكتور (أحمد صبرى) الودود في إثراء الصداقة بيننا في
سرعة ، وفي أثناء ارتباطه بأكبر قدر من الأعمال الهامة ،
أهديته التذاكر الثلاث ، وأوحيت له بأسلوب ذكى غير مباشر
أن يهديها بدوره إلى شقيقه ، الذى تحدث عنه أكثر من مرة ،
دون أن يشير إلى طبيعة عمله ، وأنا أظهار بأننى لا أعلمها .
وأطلق ضحكة ساخرة ، عالية ، مجلجلة ، في حين ابتسم
الشاب في إعجاب ، وهو يغمغم :

— ولقد أرسل التذاكر إلى شقيقه بالفعل .
ثم ظهر الارتباك على وجهه ، وهو يردف :
— ولكن هل سيسافر حقًا :

ابتسم (فولسونج) في ثقة ، وقال :

— إنه لن يتصور أبدا أن هذه الدعوة هي دعوة إلى الهلاك
يا (هنريك) ، ولن يخطر بباله أبدا أن (تيدى فولسونج) هو
الزعيم الجديد لأقوى منظمة جاسوسية في أركان العالم الستة ..
منظمة (سكوريون) (*) .

(*) راجع قصة (أرض الأهرال) .. المغامرة رقم (١٣) .

عاد (هنريك) يغمغم في شك :

— ولكن هل سيسافر ؟

ضحك (تيدى فولسونج) في سخرية وثقة ، وقال :

— سيسافر يا (هنريك) .. سيسافر .

تردد (هنريك) لحظة ، ثم غمغم :

— معذرة يا سيدى .. ولكن ماذا يؤكد هذا ؟

حدّجه (فولسونج) بنظرة مستكبرة ، وهو يقول :

— هل نسيت أن أحد رجالنا يراقب مسكنه منذ أمس الأول

يا (هنريك) ؟

ثم اعتدل في مقعده ، ونفث دُخان سيجاره الفاخر ، وهو

يستطرد في ثقة :

— إن (أدهم صبرى) في طريقه الآن إلى الإسكندرية ،

وبصحبه زميلته (منى) ، وزميله (قدرى) .. وأراهنك أنهم

سيبدؤن رحلتهم على ظهر (عروس المتوسط) فجر الغد .

وابتسم في سخرية ، وهو يردف :

— رحلتهم نحو الهلاك .

« مرحبًا بكم على متن (عروس المتوسط) ، أفخر سفينة

سياحية في العالم أجمع ، ستبدأ رحلتنا رقم (عشرة) من مدينة الإسكندرية ، التي تحمل نفس الاسم (عروس البحر المتوسط) ، وستقضون على ظهر أعظم السفن السياحية أمتع أوقاتكم ، ونحن نتجه غرباً إلى ميناء (تونس) ، حيث ستقضون ثلاثة أيام ، ثم نتجه إلى (الجزائر) ، ومنها إلى (برشلونه) في (إسبانيا) ، حيث نمضي هناك يومين ، نعود بعدهما إلى الانطلاق شرقاً ، لتعيشوا يومين آخرين في ميناء (مرسيليا) الفرنسي ، ثم نعم بعراقية ميناء (نابولي) الإيطالي الشهر لمدة ثلاثة أيام ، وبأصالة (أثينا) يومين ، ثم إلى (رودس) ، حيث نلتهم شاطئها الساحر ، وبعدها إلى (قبرص) ف (حيفا) فالعودة إلى (الإسكندرية) .. كل هذا في إطار المتعة والجمال والروعة .. ستكون رحلة لن تنسوها .. لن تنسوها أبداً .

تردد هذا النداء عبر مكبرات الصوت ، في كل أنحاء السفينة الفاخرة ، التي التهمت (منى) بعينيها ، وهي تهتف في انبهار :

— يا إلهي !! إنه حلم .. لست أصدق أننا سنقضي في هذا المكان الساحر شهراً كاملاً .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— اعتقد أننا نستحق هذه الإجازة يا رفاق ، فهذه أول مرة نحصل فيها على إجازة منذ التحاقنا بجهاز المخابرات العامة ، باستثناء الإجازات الإجبارية ، التي كنا نقضيها في أسيرة أقسام الجراحة العاجلة بالمستشفيات .

أطلق (قدرى) واحدة من ضحكاته المجلجلة ، قبل أن يقول في مرح :

— المهم ألا تلتفت حولك طوال الوقت في شك ، أو تطلق النار على أول نسمة تهز ستائر نافذة حجرتك ، وإلا أفسدت الإجازة .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

— اطمئن يا عزيزي (قدرى) .. إنني لم أحضر مسدسي ، ولا حقيبة أدوات التكر .. ستكون إجازة حقيقية هادئة .

غمغمت (منى) :

— مستحيل !!

رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة ، وهو يقول ضاحكاً :

— ما هو المستحيل يا عزيزي (منى) ؟

٣ — وبدأت الرحلة ..

تألفت السفينة الفاخرة بأضواء مبهرة ، وهي تنهادر فوق
سطح البحر ، وسط الظلام الذى خيم ، بعد اختفاء قرص
الشمس وراء الأفق ، وتملك الجدل (منى) ، وهي تجلس مع
(أدهم) و (قدرى) حول مائدة العشاء ، فى مطعم السفينة
الأنيق ، فهتفت فى سعادة :

— لست أصدق نفسى .. كل شيء هنا رائع .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— يسعدنى أن الرحلة أعجبتك يا (منى) .

هتفت فى فرح :

— سأرسل برقية شكر للدكتور (أحمد صبرى)

يا (أدهم) ، فهديته أكثر من رائعة .

ثم استطردت فى انبهار :

— الحجرة التى أقيم بها فاخرة ، كل شيء فيها يدار

إليكترونياً ، حوض السباحة على سطح السفينة مبهّر ، أضف

إلى ذلك الأثاث الفاخر ، والخدمات العديدة ، التى تجعلك

تشعر وكأنك ملك متوج .

ضحك (قدرى) ، وهو يقول مداعباً :

ابتسمت وهي تقول :

— لقد كنت أحلم بهذا طيلة عمري ، أن نذهب معاً فى
رحلة خارج العمل ، وأن أستمع مرة واحدة بدول (أوربا)
دون الشعور بالخطر ، وما هو ذا الحلم الذى كنت أظنه
مستحيلاً يتحقق .

ابتسم (أدهم) فى حنان ، فى حين ضحك (قدرى) وهو

يقول :

— لا يوجد مستحيل مع (أدهم صبرى) يا (منى) ..

هل نسيت أننا نطلق عليه اسم (رجل المستحيل) .

على بعد أمتار منهم ، استند رجلان إلى حاجز السفينة ،

وغمغم أحدهم فى خنق ، وهو يختلس النظر إلى أبطالنا :

— كم أتمنى أن أطلق الرصاص عليهم الآن يا (فريدون) .

ابتسم زميله فى هدوء ، وهو يقول :

— لا تتعجل يا عزيزى (مارنى) ، لكل شيء وقته ،

وهذا الشيطان المصرى لن يفلت منا أبداً ، فحتى لو أفلت مما

أعدناه له على ظهر السفينة ، فسيجد رجالنا بانتظاره فى كل

ميناء .. اطمئن .. إنها رحلة (أدهم صبرى) الأخيرة .

— إنه شعوري دائماً يا عزيزتي (منى) .

ثم التفت إلى (أدهم) مستطرذا :

— أليس كذلك يا (أدهم) ؟

وعقد حاجبيه في خيرة ، حينما لاحظ شرود (أدهم) ،

وهتف به :

— (أدهم) .. هل تسمعي ؟

أدار (أدهم) عينيه إليه في شرود ، ثم ابتسم وهو يقول :

— معذرة يا عزيزي (قدرى) .. لقد شرود ذهني لحظة ،

ماذا كنت تقول ؟

مط (قدرى) شففيه ، وهو يغمغم :

— إنها دُعابة يا (أدهم) ، والدعابات لا تتكرر .

ابتسم (أدهم) معتذراً ، ثم نهض من مقعده ، وقال في

هدوء :

— معذرة يا صديقي ، تمتعنا بالمكان ، وسأعود بعد

لحظات .

تطلعا إليه في دهشة ، وغمغمت (منى) في قلق :

— ماذا هناك ؟

ابتسم (أدهم) في مرح ، ولوّح بذراعه وهو يقول

ضاحكاً :

— لا تنظرا إلى هكذا .. لقد نسيت شيئاً في حجرتي

فحسب ، وسأذهب لإحضاره .

ثم أسرع الخطا إلى خارج قاعة الطعام ، وتابعاه ببصريهما

حتى اختفى خارجها ، ثم التفتت (منى) إلى (قدرى) ،

وغمغمت :

— هل تصدّقه ؟

ابتسم (قدرى) ، وهو يقول :

— ولم لا ؟ .. إنها رحلة يا عزيزتي ، وليست مهمة ،

فلا داعي لكل هذا الشك .

ولم يكذب عبارته حتى وضعت مضيئة جميلة أطباق الطعام

الشهي أمامهما ، فهتف (قدرى) في مرح :

— نعم .. هكذا تكون الحياة ..

ثم أقبل على الطعام في شهية عجيبة ، أمّا (منى) ، فعادت

تغمغم في قلق :

— ليتني أصدّق يا (قدرى) .. ليتني .

★ ★ ★

وقف (أدهم) يستشق نسيم البحر على سطح السفينة ،

وقد عقد حاجبيه في مزيج من القلق والاهتمام ، وأخذ يغمغم

في صوت خافت :

— ماذا كنت تريدني أن أقول يا صديقي (قدرى) ؟ ..
والله لقد خشيت أن تتهمنى بكثرة الشك ، إذا ما أخبرتك
بما يدور في ذهني .

ثم استند بكفيه على حاجز السفينة ، ووقف يتطلع إلى البحر
المظلم في شروق ، وهو يواصل غمغمته :

— لو أنا طبقنا قواعد المهنة ، وما تعلمناه في مدرسة
التحريات ، وأضافنا إلى ذلك الشعور المعروف بغريزة الخطر ،
لقلنا إن هذين الرجلين ، اللذين يجلسان في ركن قاعة الطعام ،
يراقباننا في اهتمام بالغ ، منذ ساعة على الأقل ، وإن كلاهما
يحمل في جيب سترته الداخلى مسدسًا ، تكفى خزانته لحمل
ثمانى رصاصات ، وإن الأقصر قامة منهما يخفى خنجرًا في
جوربه ، وهذا يعنى أنهما ليسا رجلى أعمال بالتأكيد .

وتنهّد قبل أن يستطرد في ضيق :

— ولو ربطنا هذه الأمور بعضها ببعض ، سيرز أماننا
احتمال سخيف ، ألا وهو أن هذه الرحلة تحمل رائحة الخداع ،
والخيانة ، وأن (منى) لن تحقق أمنيّتها هذه المرة و

وفجأة .. قفز (أدهم) جانبًا ..

ربما كان السبب شيئًا سمعه ، أو رآه ، أو شعر به ..

أو أنها غريرة نمت مع مواجهة الخطر ، والحياة في دروب
الموت ..

المهم أن تلك القفزة جاءت في موعدها تمامًا ، فقد التقطت
أذنه المدربة أزيز رصاصة ، انطلقت من فوهة مسدس مزود
بكاتم للصوت ، وعبرت إلى جوار رأسه تمامًا .

عبرت نفس الموقع ، الذى احتلته رأسه ، قبل أن يقفز .
وفى استجابة مذهلة ، قوّة ، رائعة ، غاص (أدهم)
بجسده إلى أسفل ، ثم دار على عقبيه في رشاقة مذهلة ، واستند
بكفه اليمنى إلى حاجز السفينة ، في حين قفزت قدمه اليسرى
تركل المسدس ، من قبضة (فريدون) ، ثم انطلقت قبضته
اليسرى في معدة الرجل ، وأعقبها قبضته اليمنى ، التى تخلّت
عن حاجز السفينة ، لتهوى على فك (فريدون) ، وتحطم ثلاثًا
من أسنانه ..

وانترع (مارلى) مسدسه على عجل ، ولكنه لم يستعمله
أبداً ، فقد حطمت قبضة (أدهم) أنفه ، وهشمت الأخرى
فكه ، وألقت به على الأرض ووجهه غارق في دماء لرجة
دافئة ..

والتقط (فريدون) خنجره ، وقفز محاولاً إغماده في ظهر

(أدهم) ، ولكن الخنجر هوى في الفراغ ، حينما قفز (أدهم) جانباً ، ودار على ساق واحدة ، وركل بالأخرى وجه (فريدون) ، الذي اختل توازنه ، وترنح ، وسقط الخنجر من قبضته ، قبل أن يصطدم بحاجز السفينة ، ويصارع الهواء بدراعيه في رعب ، ثم يهوى إلى البحر ..

كاد يصرخ حينما سبح جسمه في الفراغ ، خارج السفينة ، ولكن هبوطه توقف بغتة ، حينما أمسكت به ذراع كالفولاذ ، ورفعته كما لو كان طفلاً في شهره الأول ، وأعادته إلى السطح ، ليرتجف جسده في رعب هائل ، وتسرى ارتجافه من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، مع صوت (أدهم) الصارم ، وهو يقول :

— من أرسلك ؟

لو أن شخصاً شرح مثل هذه الظروف لـ (فريدون) ، وسأله عما سيفعله — حينئذ — لأقسم قسماً مغلظاً أنه لن يتفوه بكلمة ، وأنه سيفضل الموت على إفشاء أسرار المنظمة التي ينتمى إليها .. ولكن (أدهم) لم يكدهم سؤاله ، حتى أجابه (فريدون) في دُعر :



كاد يصرخ حينما سبح جسمه في الفراغ ، خارج السفينة ،
ولكن هبوطه توقف بغتة ، حينما أمسكت به ذراع كالفولاذ ..

— مستر (فولسونج) .. إنها أوامره .. إننى أنفذ أوامره
فحسب .

عاد صوت (أدهم) الصارم ، الذى يجمد الدم فى
العروق ، يقول :

— وبم أمرك (فولسونج) هذا ؟

كاد الرجل يركى من شدة ذعره ، وهو يحيب :

— لقد أمرنا بالتخلص منك يا مستر (أدهم) .. إنه يقول

إنك العدو الأول لمنظمتنا (سكوريون) .

ضالت عينا (أدهم) ، وهو يغمغم :

— (سكوريون) ؟!!.. لم يكن الأمر مجرد شكوك إذن !

وتألفت عيناه فى جذل عابث ، وهو يستطرد فى سخرية :

— يبدو أننى سأضطر لتلقينكم درسا جديدا أيها الوغد ،

فمن الواضح أنكم لم تفيدوا من الدروس السابقة .. إلى اللقاء

يا مندوب العقارب .

لوح (فريدون) بذراعيه فى ذعر ، وهو يقول :

— لقد كنت أنفذ الأوامر يا مستر (أدهم) .. أقسم

لك .

ولكن قبضة (أدهم) الفولاذية أخرسته هذه المرة ..

★ ★ ★

عاد (أدهم) إلى مائدة رقيقه ، فى قاعة الطعام ، هادئا ،
وجلس إلى جوارهما مبتسما ، فسأله (منى) :

— هل أحضرت ما ذهبت من أجله ؟

ابتسم (أدهم) وهو يتطلع إلى (قدرى) ، الذى يلتهم
الطعام فى سراحة ، وقال :

— نعم يا (منى) ، ولقد كانت الغنيمة أكبر مما كنت
أتصور .

سأله فى دهشة :

— الغنيمة ؟!!.. ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

— ألا تعتبرين مسدسين مزودين بكاتمى صوت ، وخنجرا

أيضا حادًا غنيمة رائعة ؟

توقف (قدرى) بغتة عن التهام الطعام ، وشارك (منى)

تلك النظرة الشاردة ، التى حدقت بها فى وجه (أدهم) ،

وهى تهتف فى توثر :

— ماذا حدث ؟.. ماذا حدث بالله عليك ؟

تنهد وهو يقول :

— إنك لن تصدقنى يا عزيزتى .

٤ — التحدى .

ثم أخذ يقص عليهما ما حدث بنبرات هادئة ، وكأنه يروى قصة عادية ، وعينا (منى) تتسعان في ذعر ، في حين فقد (قدرى) شهيته تمامًا ، حتى انتهى (أدهم) من قصته ، فهف (قدرى) :

— هل تعنى أنا الآن في قلب الفخ ؟

هز (أدهم) كتفيه في لامبالاة ، وقال

.. لقد كشفنا الأوراق يا صديقى ، وفقدت (سكريبون)

عامل المفاجأة .

غمغم (قدرى) في توكر :

— ولكن الخطر لم ينته بعد ، فالسفينة كلها ملك لهم .

استرخى (أدهم) في مقعده ، وهو يقول في هدوء :

— تظاهر بأنك لم تلاحظ ذلك يا صديقى البدين .. فلتد

انطلقت السفينة ، ولم يعد هناك مجال للتراجع .

سألته (منى) في قلق :

— ماذا تفنى ؟

أجابها في هدوء عجيب :

— أغنى أن (سكريبون) تتحدثنا مرة أخرى يا (منى) .

ولقد أعلنت أنني أقبل التحدى .

★ ★ ★

ارتسمت علامات الغضب على وجه (فولسونج) ، وهو يهف في عصبية :

— خسرنا الجولة الأولى ؟! .. ماذا تفنى يا (هنريك) ؟

كان (هنريك) يبدو شديد السخط ، وهو يقول :

— لقد أرسل (فريدون) رسالة لاسلكية من السفينة

يا سيدي ، وهو يقول : إن ذلك الشيطان المصرى قد كشف

اللعبة ، وإنه نجا من محاولة القتل الأولى ببراعة فائقة ، واستولى

على الأسلحة .

هتف (فولسونج) في خنق :

— يا للشيطان !!

وأخذ ينفث دخان سيجاره في عصبية ، وهو يقول :

— لقد فقدنا عنصر المفاجأة ، وسيصبح قتال ذلك

الشيطان المصرى أشبه بقتال غر شرس ، زادته جروحه

وحشية ، وسنضطر إلى الانتقال للخطة (ب) .

هتف (هنريك) في دهشة :

— هل سنتركه يصل إلى (تونس) ؟

أجاب (فولسونج) في جدّة :

— نعم .. سنحاول إيهامه بأن الخطر قد زال .

وعاد يتهدد في انفعال ، وهو يستطرد :

— وستترك الباقي لـ (بن كريم) في قلب (تونس)

بعد رحلة هادئة . استغرقت أربعة أيام ، توقفت (عروس

المتوسط) في (تونس) ، وتهدت (منى) في ارتياح ، وهي تقول :

— ها نحن أولاء قد وصلنا .. إننى أقترح أن نعود إلى

القاهرة في أول طائرة .

ابتسم (أدهم) في سخريه ، وقال :

— عجباً !!! منذ ساعة واحدة كنت تؤكدين أن الخطر

قد زال .

عقدت حاجبها ، وهي تقول في عصبية :

— كنت أحاول أن أطمئن نفسى يا (أدهم) .. فلقد

مضت الأيام الثلاثة الماضية ، دون مخاطر ، ولكننى لا أثق في

الأيام القادمة ، فلا ريب أن هؤلاء الأوغاد يعلمون الآن ، أنك

هزمت رجالهم .

ابتسم وهو يقول في مرح :

— هذا ما سيجعل العملية أكثر إمتاعاً يا عزيزتى .

هتف (قدرى) في دهشة :

— أى إمتاع في هذا يا (أدهم) ؟ .. إننى أشعر وكأننا

نجلس فوق قنلة زمنية ، الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم متى تنفجر .

ظهرت الصرامة في عينى (أدهم) ، وهو يقول :

— إننى لا أجبرك على البقاء يا (قدرى) ، أما أنا

فسأبقى ، فأنا لم أعتد الفرار أمام أى خصم ، مهما بلغت قوته .

هتفت (منى) في خنق :

— ولكنك تلعب بالنار دون مبرر .

هز كفيه في استهتار ، وهو يقول :

— هل تحبان أن أوصلكما إلى المطار ؟

تبادل (قدرى) و (منى) نظرات قلقة ، ثم غمغمت

(منى) في عناد :

— سأبقى مادمت متبقى .

وابتسم (قدرى) في مرح مصطع ، وهو يقول :

— كيف تتصور أننى سأضيع فرصة للعمل مع (أدهم

صبرى) ؟

وفي اللحظة نفسها ، التي انتهى فيها (قدرى) من عبارته ،
ارتفع صوت مهذب يقول :

— هل تحتاجون إلى دليل ، يقودكم إلى أجمل مناطق (تونس)
يا سادة ؟

التفتوا إلى مصدر الصوت ، فطالعهم شاب أنيق وسم ،
ابتسم ابتسامة جذابة ، وهو يمد يده إليهم مستطرذا :

— اسمعوا لي بتقديم نفسي أولاً .. أنا (بن كريم) ..
أفضل دليل سياحي في (تونس) كلها .

استرخى (أدهم) في هدوء عجيب ، إلى جوار (بن
كريم) ، الذي أخذ يقود سيارته في براعة ، عبر شوارع
(تونس) وميادينها ، ويقول ، وهو يتطلع إلى (قدرى)
و (منى) ، في مرآة السيارة :

— هل أعجبتكما نزهة اليوم يا سادة ؟

ابتسمت (منى) ، وهي تقول :

— (تونس) مدينة رائعة يا سيد (بن كريم) ، ولقد
شرحت لنا معالمها بأسلوب رائع منمّق ، أثار إعجابنا ، ونجح
في إزالة الكثير من قلقنا وتوترنا .

رفع (بن كريم) حاجبيه في دهشة ، وهتف :
— قلقكم وتوتركم ؟ .. كيف يتأتى هذا يا سيدى . وأنتم
تجوبون المتوسط على متن عروسه ؟

ابتسم (أدهم) دون أن ينطق بكلمة واحدة في حين
أسرع (قدرى) يقول :

— السيدة تعنى قلقنا من ألا نجد من يشرح لنا ما شرحته .
لوح (بن كريم) بكفه في خيلاء ، وهو يقول :

— من حسن حظكم أن وافقتم على (بن كريم) .. إننى
بلا فخر أفضل دليل سياحي في الدولة كلها .

ثم أردف في اهتمام :

— وأنا أذخر لكم مفاجأة .. سأريكم ما لم يره سائح
آخر .

سأله (منى) في اهتمام :

— ما هو ؟

ابتسم في فخر ، وهو يقول :

— قلب (تونس) .. قلبها الشعبي .

غمغم (أدهم) في برود :

— وهل يستحق الرؤية ؟

شهق (بن كريم) في استنكار ، وهتف :

— لا يمكنك أن تقول إنك شاهدت دولة ما . ما لم تر قلدا

يا سيدي .. فالدولة ليست مزارات سياحية فحسب .. إنها
الشعب والعادات والتقاليد ، ولقد ادخرت هذا لنهاية اليوم .

ثم انحرف في شارع جانبي ، وهو يستطرد .

— سيكون حفلاً رائعاً .

وانطلق بسيارته غبر طرقات شديدة الضيق ، أثارت انتباه
أبطالنا الثلاثة في شدة ، وجعلت (أدهم) يسأله في سخرية :
— أهذه الشرايين الضيقة ، هي التي تقود إلى قلب المدينة ؟

أجابه الرجل في حماس :

— بالطبع يا سيدي .

ثم أوقف السيارة في منتصف حارة ضيقة ، وقال :

— سنكمل الطريق سيرا على الأقدام ، فهو لن يتسع لعبور

السيارة بعد أمتار قليلة .

غادر الجميع السيارة خلفه ، وتبعوه في هدوء ، وهو يدلف

في طريق ضيق إلى آخر أكثر ضيقاً ، حتى انتهى بهم المطاف إلى

منطقة صامتة تماماً ، فتوقف (بن كريم) ، وقال :

— لقد وصلنا يا سادة .

تلغنت (منى) حولها ، وهي تقول في دهشة .

— أين الحفل الذي أخبرتنا به ؟

ابتسم الرجل في سخرية ، وهو يقول :

— هنا يا سيدي .. حفل خاص ، من إعداد (تيدي

فولسونج) .

ثم تراجع إلى الوراء في سرعة ، في نفس اللحظة التي برز

فيها عشرات الرجال فوق جداري الطريق الضيق ، وهم

يحملون مراوات غليظة ، تنتهي بأطراف حديدية مدببة ، وظهر

رجلان ضخما الجثة في نهاية الطريق . يسدانه بحسديهما

الغليظين ، وهما يحملان مراوتين أكثر غلظة ، وابتسم (بن كريم) ،

وهو يقول في مزيج من السخرية والشماتة :

— لقد وعدت مستر (فولسونج) بأن أرسل له بقاياكم

في دلو صغير ، ولكنتي أعتقد أنها لن تحتاج لأكثر من زجاجة

واحدة .

وبإشارة من يده ، انقضت مائة رجل على أبطالنا الثلاثة .

★ ★ ★

شحب وجه (قدرى) ، وارتجفت (منى) حتى أخص

قدميها ، حينما انقض الرجال ، ولكن هذا لم يمنعها من التقاط

مسدسها في سرعة ، وإطلاق رصاصاته عليهم ، في محاولة يائسة للدفاع عن نفسها .. أما (أدهم) ، فقد تحرك في سرعة مذهلة كعادته ، فتفادى ضربة قوية من هراوة قاتلة ، وهشم فك صاحبها بلكمة كالقنبلة ، ثم قفز عاليًا ، وحطم أنف رجل ثانٍ بركلة فولاذية ، وكسر أسنان الثالث بأخرى كالصاعقة ، ثم دار بجسده في الهواء ، وهبط على قدميه ، لتهدى قبضته على فكي رجلين ، وتخرجهما من قائمة المقاتلين ، قبل أن يتزع مسدسه ، ويطلق منه ثلاث رصاصات ، جندلت ثلاثة رجال في جزء من الثانية ، وتراجع الباقون في دُعر أمام قوة خصمهم ، ومهارته المذهلة .. ولكن (بن كريم) صرخ في غضب :

— هل يفزعكم رجل واحد ؟ .. ماذا أصابكم ؟ .. مزقوا هذين الرجلين ، والفتاة .. مزقوهم أيها الجبناء .
كانت (منى) قد أسقطت ستة رجال برصاصاتها ، وأسقط (أدهم) ثمانية بقبضتيه وقدميه ، ورصاصاته الثلاث ، مما جعل الباقين يترددون لحظة ، قبل معاودة هجومهم ، وكانت هذه اللحظة في صالح (أدهم) ، الذي هتف في سخرية :

— هيا أيها الأوغاد .. من منكم يحب أن يتلقى في رأسه رصاصتي الرابعة ؟ .. أراهن أنكم لاحتظم أننى لا أخطئ هدفي أبدًا .

كان من الواضح أن كلماته قد أرهبت الرجال ، على الرغم من ضخامة عددهم ، مما فجر كل الغضب في أعماق (بن كريم) أو جعله يصرخ في ثورة :

— اقلوهم .. اقلوهم أيها الجبناء .
وفي هذه المرة انقضَّ الرجال ، وقد قرروا ألا يتراجعوا أبدًا ، إلا بعد قتل (أدهم) و (قدرى) و (منى) .



٥ - كُومَة اللحم ..

كان مسدس (منى) لا يحوى إلا رصاصة واحدة ،
ومسدس (أدهم) يحمل خمس رصاصات ، أما (قدرى) فلم
يكن يحمل سلاحاً ..

وكان هذا فى مواجهة ستة وثمانين رجلاً ، وست وثمانين
هراوة ..

وبدا النصر مستحيلاً ..

وأطلقت (منى) آخر رصاصاتها فى رأس أقرب المهاجمين
إليها ، وهبطت هراوة ضخمة على معدة (قدرى) فشقق فى
ألم ، فى حين أفرغ (أدهم) رصاصاته الخمس فى رؤوس
مهاجميه وحطم فك رجل سادس بلكمة ساحقة ، وأصبح على
أبطالها الثلاثة أن يواجهوا تسعة وسبعين رجلاً ، بلا سلاح على
الإطلاق .

وفجأة .. قفز (أدهم) قفزة ، وصفها الجميع فيما بعد
بأنها مذهلة ، تجاوز بها جسدى زميليه ، وأجساد المهاجمين ..
حتى بدا وكأنه يطير بلا أجنحة ، قبل أن يهبط خلف الجميع ،
ويلكم (بن كريم) لكمة قوية ، أمام العيون الشاردة ، ثم
يطوق عنقه بذراعه ، وينزع من حزامه ذلك الخنجر ، الذى

غسده من (فريدون) على ظهر السفينة ، ويغرس طرفه المدبب
فى عنق (بن كريم) ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :

— مَرَّ جالك بإيقاف القتال يا أحقر الأوغاد ، وإلا كان
رأسك هو أول ما يصل إلى ذلك الخنزير (فولسويج) .

توقَّف القتال دفعة واحدة أمام ذلك المشهد ، وتسمر
الجميع فى أماكنهم ، كما لو كانوا صورة ثابتة ، وسط فيلم
متحرك ، حتى أن هراوة أحد المهاجمين توقفت على بعد
سنتيمترين من رأس (منى) ، التى جذت (قدرى) من
ذراعه ، وهى تغمغم فى توثر بالغ :

— أسرع يا (قدرى) .. أسرع قبل أن يضيع أثر مفاجأة
(أدهم) .

تبعها (قدرى) ، وهو يشعر بآلام معدته ، بعد الضربة
القوية ، التى تلقاها فيها ، حتى صار أخلف (أدهم) و (بن كريم)
الذى هتف فى صوت متحشرج ، وهو يشعر بنصل الخنجر ،
الذى تغوص ذبابته فى عنقه :

— هل تظن أننى سأسمح لكم بالهرب ، أيها الشيطان المصرى ؟
أجابه (أدهم) فى لهجة تجمع بين الصرامة والسخرية :
— عليك أنت أن تختار أيها الوغد ، بين فرارنا ، وبقائك
على قيد الحياة ، أو موتنا إلى جوار عنقك المتور .



وأسرعت (منى) وخلفها (قدرى) إلى السيارة ..

سرت مهمة غاضبة بين رجال (بن كريم) ، الذى حاول
التظاهر بالشجاعة ، وهو يقول فى صوت مرتجف :
— إنك لن تجرؤ .

دفع (أدهم) مزيداً من نصل الخنجر فى عنقه ، وهو يقول
فى سخرية :

— هل تراهن ؟

شعب وجه (بن كريم) ، وشعر بالدماء الساخنة تسيل
على عنقه ، وتلوث قميصه ، فهتف فى مخط :
— فلتذهبوا إلى الجحيم .

تنهدت (منى) فى ارتياح ، وهتفت :

— هيا بنا يا (أدهم) .

أجابها (أدهم) فى هدوء حازم :

— أسرعى أنت و (قدرى) إلى السيارة يا (منى) ،

وحاولى أن تعودى بها إلى الخلف ، وسألق أنا بك .

تردّدت (منى) لحظة فى تركه وحيداً ، غير أنه حسم

تردّدها ، بلهجة أمرة :

— هيا ..

وأسرعت (منى) وخلفها (قدرى) إلى السيارة ، فى حين

غمغم (بن كريم) فى خنق :

— هل تظن أنكم ستجئون بهذا الأسلوب ؟
أجابه (أدهم) في سخرية ، وقد وصل صوت محرك
السيارة إلى مسامعه :

— لست أظن أيها الوغد .. إننى واثق ، فلقد علمتى
خبرائى أن السيطرة على رأس الأفمى تشل جسدها كله .
كانت عيون الرجال تتابع تراجع (أدهم) في سخط ،
ولكن ذلك السخط تلاشى فجأة ، وحلت محله نظرة مترقبة .
قلقة ، جعلت (أدهم) يلتفت فجأة إلى الخلف ، وجعلته يرى
ذلك الرجل الضخم ، الذى ينقض عليه في وحشية ، وهو يرفع
هراوته ، ليهوى بها على رأسه ، بكل ما يملك من قوة .

★ ★ ★

من حسن حظ (أدهم صبرى) ، أو من سوء حظ (بن كريم) ،
أن الله (سبحانه وتعالى) قد حبا (أدهم) بموهبة نادرة ، ألا
وهى سرعة الاستجابة الخرافية ، لأى مؤثر خارجى ، بالإضافة
إلى شجاعة عجيبة ، تجعله لا يهرب أشد المواقف ، أو أخطر
الأمور ..

ولقد كان لهذا المزيج أثر مذهل في تلك اللحظة ..

إن مرأى الهراوة الضخمة ، ذات الأطراف الحديدية

الباردة ، وهى تهوى بكل هذه القوة ، لم يثر في نفس (أدهم)
أدنى خوف . وإنما أطلق الغاب لغريزته ، وحسن تدبيره
للأمور ..

وفي جزء من أعشار الثانية ، اتخذ (أدهم) قراره الدفاعى .
وفي جزء آخر تحلى عن عنق (بن كريم) ، وقفز جانباً ، وترك
الهراوة الضخمة تهوى بكل ثقلها ، وبكل قوة حاملها ، على
رأس هذا الأخير ، الذى جحطت عياه في ذهول وألم ،
وتحولت جمجمته إلى كومة من العظام واللحم والدماء . وبعثك
منه وسط هذه الكومة المفريئة ، وسقط جثة هامدة .
بالأسلوب نفسه الذى أراده لـ (أدهم) ورفيقه ..

أما (أدهم) ، فقد تحرّك بتلك السرعة المذهلة ، التى تميزه
عن كل محترفى القتال في العالم ، وحطم عنق المهاجم بلكمة
ساحقة . ماحقة ، جعلت الرجل يطلق خواراً عجبياً ، ويمسك
عقه بذراعه في قوة ، ثم يسقط أرضاً ، وهو يحاول التقاط ذرة
واحدة من الهواء ..

وفجأة .. صرخ الرجال كلهم صرخة وحشية ، ارتجت
لها أركان ذلك الحى التونسى القديم ، وانقضوا على (أدهم)
في شراسة هائلة ، وفي ذهن كل منهم هدف واحد ..
قتل (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

مرّة أخرى كان (أدهم) يقاتل العشرات ، ولكن هذه
المرّة كان الأمر يختلف ..

كان الهجوم يأتي من اتجاه واحد ، وكان الطريق شديد
الضيّق ، حتى أن (أدهم) بدا وكأنه يقاتل الرجال واحداً بعد
الأخر ..

ومرّة أخرى أثبت (أدهم صبرى) أنه يستحق عن جدارة
لقب (رجل المستحيل) ..

لقد كان يتفادى الضربات في مهارة مذهلة ، وهو يتراجع
إلى الخلف ، وقبضته تحطمان الأعناق ، والأنوف ، والفكوك ،
وتلقيان بالأجساد المهاجمة في طريق الآخرين ..

ثم فجأة استدار (أدهم) ، وانطلق يعدو بسرعة عجيبة ،
أربكت مهاجميه ، وجعلتهم يستغرقون وقتاً طويلاً في عبور
أجساد زملائهم ، قبل أن ينطلقوا خلفه ، عبر الطرقات
الضيقة ..

ولكنهم لم يلحقوا به أبداً ..

لقد كانت (منى) تنتظره داخل السيارة ، وقد تركت له
مقعد القيادة ، في حين جلس (قدرى) في المقعد الخلفى
يرتعد .. وفي قفزة ماهرة ، احتل (أدهم) مقعد القيادة ،

وانطلق بالسيارة وسط الطرقات الضيقة ، وهو يقول في
سخرية :

— يبدو أنا قد حققنا رقماً قياسياً جديداً يرافاق . ولا بد
أن نبرق به للمشرفين على إعداد موسوعة (جينس) (*).
غمغم (قدرى) ، وقد خف ارتعاد جسده :

— بل أنت فعلت يا (أدهم) .. أنت هزمت جينا من
الرجال وحدك و

وبتر عبارته فجأة .. واتسعت عيناه مع شهقة الرعب ،
التي انطلقت من فم (منى) ، فلقد برزت فجأة سيارة قوية ،
أغلقت أمام سيارتهم المخرج الوحيد من حتى الموت .



(*) موسوعة شهيرة ، تقدم الأرقام القياسية في كل المجالات ، حتى
في أكل الحلوى .

٦ — الجولة الثالثة في (برشلونة) ..

لم ترتجف أطراف (أدهم صبرى) لحظة واحدة ، ولم يفقد سيطرته على عجلة القيادة ، أمام السيارة التى أغلقت طريقه ، بل درس المسافة التى تفصله عنها فى سرعة ، تفوق سرعة السيارة ، وتعلقت عيناه بصندوق خشبى صغير ، ملقى فى إهمال على جانب الطريق ، ووضع (أدهم) خطته ..
لقد انطلق بالسيارة على أقصى يسار الطريق الضيق ، بحيث لم تكن تفصله عن جداره سوى مسافة تكفى لعبور ورقة سميكة .. وترك عجلات السيارة الأمامية ترتفع فوق بداية الصندوق الخشبى ، ثم ضغط دواسة الوقود بأقصى ما يملك من قوة ، حتى كاد يخترق به أرضية السيارة ..
ورأى سكان ذلك الحى الشعبى فى (تونس) مشهداً مذهلاً ..

رأوا سيارة (أدهم) تقفز فى الهواء ، وتطير فوق السيارة الأخرى ، التى تسد مخرج الطريق ، ثم تهبط وسط الشارع ، وترتطم به فى قوة ، وتدور حول نفسها على نحو بالغ الخطورة ، حتى أنها كادت ترتطم بسيارة مندفعة ، لولا أن نجح قائدها فى تفاديها بصعوبة بالغة ، ثم انطلقت سيارة (أدهم) كالصاروخ ،

تاركة سكان الحى فى ذهول ، لن يفارقهم إلا بعد وقت طويل جداً ..

وهتف (قدرى) فى ذهول :

— يا إلهى !! لم أكن أظن أبداً أن هذا يحدث فى عالم الواقع .. لقد كنت أظنه حكراً على أفلام المغامرات الأمريكية .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقود السيارة فى براعة ، ويقول فى هدوء :

— لا تنس أننى فعلت ذلك على الشاشة الأمريكية أيضاً يا صديقى البدين (*) .

زفرت (منى) فى قوة ، وهى تهتف :

— يا إلهى !! لقد نجونا هذه المرة بأعجوبة .. بل بمعجزة .

هز (أدهم) كتفيه ، وقال فى هدوء :

— ولقد انتصرنا فى الجولة الثانية يا عزيزى .

(*) راجع قصة (المخاطر) .. المغامرة رقم (٤٣) .

القى (فولسونج) سيجاره فى غضب هائل ، وهو
يصرخ :

— قتل (بن كريم) .. آية منظمة هذه التى أترعّمها !؟ ..
كيف تفشل كلها فى عملية قتل رجل واحد ؟

غمغم (هنريك) فى غيظ :
— إنه ليس رجلاً عادياً يا مستر (فولسونج) .. إنه
شيطان .

ولّوح (فولسونج) بذراعيه ، وهو يصرخ :
— حتى الشياطين لا يمكنها أن تقاتل على هذا النحو .. أى
رجل هذا ؟

مطّ (هنريك) شفّيه ، وهو يقول فى سخط :
— لست أدري يا مستر (فولسونج) .. إنه يعلم أن
السفينة ملك لنا ، وأن مواصلته الرحلة تعنى مزيداً من الخطر ،
ولكنه على الرغم من ذلك عاد إليها هادئاً مبتسماً ، وكأنه سائح
عادى ، أعجبتّه المدينة .

صاح (فولسونج) فى خنق :
— لن يستمر ذلك طويلاً .
سأله (هنريك) فى قلق واهتمام :

— هل تصدر الأوامر لرجالنا بالتخلّص منه فى
(الجزائر) ؟

عقد (فولسونج) حاجبيه مفكّراً ، وشبك أصابع كفّيه
أمام وجهه فى عصبية ، ثم غمغم :

— لا يا (هنريك) .. إنه سيتوقّع ذلك ؛ لذا فلن نُقدم
عليه .. سنتركه يستمتع برحلته حتى (برشلونة) .

غمغم (هنريك) فى خيرة :
— ولكنه سيتوقّع أن نهاجمه هناك أيضاً .

عض (فولسونج) شفّته السفلى فى غضب ، وهو يقول :
— لن نهاجمه وحدنا يا (هنريك) هذه المرة .. فهناك من

يحلّم بالكأر من (أدهم صبرى) فى (إسبانيا) ، واعتقد أنه
سيشكر لنا منحه هذه الفرصة المثالية .

ثم رفع عينيه إلى (هنريك) ، واستطرد فى صرامة :
— استعد يا (هنريك) .. سنسافر فوراً إلى (إسبانيا) ،

وسنحاول إعداد فخ محكم لذلك الشيطان المصرى هناك ،
وأرجو أن نربح نحن الجولة الثالثة فى (برشلونة) .

تمدّدت حساء ، فى أوائل الثلاثينات من عمرها ، فوق

مقعد قماش طويل ، أمام حوض سباحة بالغ الأناقة ، يتوسط حديقة قصر رائع الجمال ، فوق أعلى ربوة في مدينة (لشبونة) ، وبطل من موقعه على البحر المتوسط ، حيث تلتقي الأمواج الناعمة برمال الشاطئ في حنو وهدوء ، وكانت الحسنة تخفي وجهها بقبعة عريضة الأطراف ، ينسدل فيها شعرها الأسود الفاحم ، البالغ النعومة والسواد ، في حين استلقت ساكنة داخل ثوب استحمام من قطعتين ، وكأنها تحاول إكساب بشرتها القمحية لونًا داكنًا ، كعادة فتيات (أوروبا) في فصل الصيف ..

كانت الفتاة تبدو كالنائمة ، حينما تقدم منها شاب مفتول العضلات على نحو واضح ، مجمد الشعر ، كثيفه ، يتوسط وجهه الوسم شارب ضخم ، مهذب في عناية وأناقة ، وقال في اهتمام :

— هناك رجل يطلب مقابلتك على وجه السرعة يا (ماريانا) .

مضت لحظة من الصمت ، تحيل للشاب خلالها أن تلك التي خاطبها باسم (ماريانا) ، لم تسمع حرفًا واحدًا مما نطق به ، إلا أنها أزاحت القبعة التي تخفي وجهها في هدوء ،

وتطلعت إليه بعينها الساحرتين ، الخضراوين ، وهي تغمغم في هدوء :

— أهو ذلك الذي وصل إلى ساحة القصر ، على متن هليكوبتر ؟

أوما الرجل برأسه إيجابًا ، وقال وهو يتسم في إعجاب :
— هذا صحيح يا (ماريانا) .. لا يفوتك شيء أبدًا .
ظهر الضجر على وجهها ، وهي تنهض قائلة :

— يفوتني ؟! .. ماذا تظني يا (ماريو) ؟ .. لوح من الصلب ؟ .. لقد عبر هذا الرجل بالهليكوبتر على ارتفاع عشرين مترًا فوق رأسى ، وكانت مروحة الهليكوبتر تصدر صوتًا شديد الإزعاج ، ولقد رأيته وهو يبط في ساحة القصر .. فهل من العسير أن أستتح أنه هو الذي يطلب مقابلتي ؟
ارتبك (ماريو) ، وغمغم :

— إننى لم .. إننى لم أقصد يا شقيقتى العزيزة .. لقد
قاطعه في صرامة :

— ماذا تعنى بشقيقتك العزيزة يا (ماريو) ؟ .. أأست أحل لقبًا خاصًا ينبغي على الجميع مخاطبتي به ؟
ابتسم (ماريو) في توثر واضح ، وهو يغمغم :

— لم أظن أن هذا ينطبق عليّ ، فأنا شقيقك يا
حدجته بنظرة نارية ، جعلت نبراته تحفت فجأة ، وهو
يغمغم في شحوب :

— يا دونا (ماريانا) .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ظافرة ، وهي تقول :
— حسنا يا (ماريو) .. الآن يمكنني مقابلة الرجل .

★ ★ ★

انحنى (تيدي فولسونج) يقبل أنامل دونا (ماريانا) في
ديلو ماسية ، وتركت هي كفها في راحته ، وهي تتفرس ملامحه
في إمعان ، ثم وضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، وقالت
في هدوء :

— تسعدني مقابلك يا سنيور (فولسونج) ، ولكن تلك
الطبيعة الأنثوية الفضولية في أعماقي ، تدفعني لأن أتخلى عن
كل قواعد الذوق واللياقة ، وحسن الضيافة ، وأسألك
مباشرة : ماذا تريد ؟

ابتسم (فولسونج) ، وهو يقول :

— من حسن الحظ أنني أحب الأساليب المباشرة ، وأقدّر لها
يا عزيزتي .. فنحن نعمل تقريرا في المعسكر نفسه .

ابتسمت في خبث ، وهي تقول :

— أي معسكر تقصد يا سنيور (فولسونج) ؟

اعتدل (فولسونج) ، وهو يقول في فخر :

— الذي يقف أمامك الآن هو (تيدي فولسونج) ، الزعيم

الأكبر لـ (سكوريون) .

رفعت (ماريانا) حاجبيها في دهشة ، ثم عادت تحفضهما ،

وهي تقول في هدوء :

— وماذا تريد منظمة قوية مثل (سكوريون) ، من فتاة

بسيطة مثل ؟

ابتسم (فولسونج) في مكر ، وقال في ببطء :

— لقد أتيت أعرض تعاوننا ، من أجل القضاء على رجل

يدعى (أدهم صبري) .

اكتست ملامح دونا (ماريانا) بغضب هائل ، واعتصرت

قبضتها حول مسند مقعدها في قوة ، وهي تغمغم في كراهية

لا مثيل لها :

— (أدهم صبري) ؟ !

واكتسب صوتها صلابة الفولاذ ، وقسوة الصلب ، وهي

تتطرد :

٧ — شقيقة الأفعى ..

استشق (أدهم صرى) دفقة من الهواء القى ، ملأ بها صدره ، ثم أفرغها في زفرة قوية ، وانسم قائلاً :
— يا له من جو صحي ، يخلو من هواء المدن الملوثة !!
غمغمت (منى) في شحوب :
— لا يوجد هواء ملوث ، ولكن توجد أطنان من الرصاص .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :
— ماذا بك يا عزيزتى ؟ لقد قضينا يومين في (تونس) دون مشاكل .. وسافرنا إلى (الجزائر) ، وقضينا هناك يومين آخرين ، دون أن نتعرض لخطر واحد .. وها نحن أولاء نصل إلى (برشلونة) في أمان .

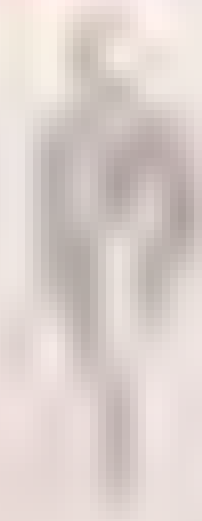
أشاحت (منى) بوجهها ، وهي تقول في توثر :
— كم أكره هذه الرحلة .. لقد فقدت متعنى تماماً أمام هذا الشعور السخيف بالخطر ، الذى يتهددنى دائماً .

وهتف (قدرى) في حنق :
— إنها على حق يا (أدهم) .. أنا أيضاً أصبحت أشعر وكأنتى أنتظر لحظة مصرعى .

— ماذا تعرف عنه ؟ .. ماذا تعرف عن هذا الشيطان ؟
ابتسم (فولسويج) في برود ، وهو يقول :
— يبدو أنك تبفضينه للغاية يا دونا .
خدجته بنظرة قاسية ، وهي تقول في صرامة عجيبة :
— كيف لا يا سنيور (فولسويج) ؟ .. لقد تسبب في مصرع شقيقتى الكبرى .
ثم أردفت في كراهية :
— تسبب في مصرع دونا (ماريا) (*) .

باسم

www.dvd4arab.com



(*) راجع قصتى (بريق الماس) و (حلفاء الشر) .. المعامرتين رقم (٧) و (١٢) .

ظهر الضيق على وجه (أدهم) ، وقال :

— يبدو أننى تصرفت بأنانية بالغة يا رفاق .. إننى أعرضكما للخطر لجُرد رغبتي فى تحدى هؤلاء الأوغاد .

ثم التفت إليهما ، قائلاً فى حزم :

— ستعودان إلى القاهرة فى أول طائرة تغادر (برشلونة) .

قالت (منى) فى صرامة :

— سنعود معاً ، أو تبقى معاً .

صمت (أدهم) وكأنه يفكر فى قولها ، ثم غمغم فى

هدوء :

— فلنطلق إلى المطار أولاً ، وستتخذ قرارانا فى الطريق .

★ ★ ★

خفض (ماريو) نظاره المقرب عن عينيه ، والتفت إلى

دونا (ماريانا) ، قائلاً :

— لقد غادرا السفينة يا دونا .

وضعت (ماريانا) طرف مبسمها الطويل بين شفتيها .

وهى تسأله فى بعض :

— هل تصحبه زميلته ذات الشعر الأسود ؟

أولاً (ماريو) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم يا دونا ، ومعهما رجل بالغ البدانة .

نفثت (ماريانا) دخان سيجارتها فى غضب ، وهى تقول :

— هذه الحفيرة هى التى قتلت شقيقتنا يا (ماريو) ،

وسيكون عليها أن تدفع الثمن .

عقد حاجبيه ، وهو يقول متظاهراً بالصرامة :

— هل نطلق عليها الرصاص ؟

مطت (ماريانا) شفتيها فى امتعاض ، وهى تقول :

— من قتلت (ماريانا) لا يمكن أن تموت بهذه البساطة .

ثم أردفت فى شراسة :

— أنا سأجعلها تتمنى الموت ألف مرة ، قبل أن أرسلها

فى رحلة بلا عودة إلى الجحيم .

غمغم (ماريو) :

— وماذا عن (أدهم صبرى) ؟

تألقت عينا دونا (ماريانا) فى وحشية ، وهى تقول :

— اتركه لى يا (ماريو) .. سأجعله يندم على ما فعله

لشقيقتنا ، ولكنه لن يجد الوقت الكافى ليؤنبه ضميره على

فعله ، فرحلته إلى الجحيم أقرب مما يمكن أن يتصور .

★ ★ ★

انطلقت سيارة من سيارات الأجرة نحو مطار
(برشلونة) ، وغمغم سائقها في ضجر ، دون أن يلتفت إلى
(أدهم) ، و (قدرى) ، و (منى) ، الذين يجلسون في
السيارة :

— مجانين هؤلاء السانحين .. إنها أول مرة أقل فيها بعضهم
من الميناء إلى المطار مباشرة .

كان يغمغم بالإسبانية الدارجة ، ولقد شعر بدهشة
عارمة ، حينما أجابه (أدهم) باللهجة نفسها . وفي صوت
أقرب إلى السخرية :

— لو أن سيارتك تمتلك جناحين . لجعلناك تصحبنا إلى
القاهرة دفعة واحدة يارجل .

هتف السائق في دهشة :

— أنت إسباني ؟! .. معذرة يا سيور لقد ظننتك أحد
السانحين .. فلقد كنت تتحدث مع السيد والسيدة بلغة غير
مفهومة و

قاطعه (أدهم) في هدوء :

— لا يا عزيزى .. لست إسبانياً .. أنا مصرى .

اتسعت عينا السائق ، وهو يهتف في ذهول :



نفثت (ماريانا) دخان سيجارتها في غضب ، وهي تقول :
— هذه الحقيرة هي التي قتلت شقيقنا يا (ماريو) ..

— هذا مستحيل .. إنك تحدث الإسبانية في طلاقة
أبنائها ، ولولا أنك

وفجأة .. انطلقت سيارة كبيرة من طريق جانبي ،
واندفعت نحو سيارة الأجرة ، فانحرف سائقها بسيارته ، وهو
يصرخ في سخط :

— أيها الجنون ، ماذا تفعل ؟ .. أين تعلمت القيادة ؟
ولكن مهارته في القيادة لم تمنع اصطدام السيارتين ،
وتوقفهما ، فقفز سائقاهما خارجهما ، وأخذا يتبادلان السباب
والشتائم الساخطة ، وكل منهما يلقي اللوم على الآخر ،
فضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— هيا بنا يارفاق .. إن هذه المشاجرة لن تنتهى أبداً ، فأنا
أعلم كيف يتشاجر الإسبان .

ولم يكد الثلاثة يغادرون سيارة الأجرة ، حتى برزت
إحدى سيارات الشرطة فجأة ، وهبط منها ثلاثة رجال ، تقدم
أحدهم إلى موقع الحادث ، وهو يقول في صرامة :

— ماذا حدث ؟

اندفع سائقا السيارتين يقصّان عليه ما حدث بكلمات
صارخة ، غاضبة ، ساخطة ، فأوقفهما بإشارة حازمة ، وقال :

— هل هناك شهود ؟

أشار سائق سيارة الأجرة إلى (أدهم) ، و (مى) .
و (قدرى) ، وقال :

— هاهم أولاء شهودى أيها الشرطى .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— إنا نريد اللحاق بالطائرة أيها السائق و

قاطع الشرطى في حزم :

— إنها شهادة بسيطة ياسنيور ، لن تستغرق أكثر من عشر
دقائق في نقطة شرطة قرية .. وأعدكم بالانصراف في أسرع
وقت .

ثم أشار إلى سيارة الشرطة ، وقال :

— وستوصلكم سيارتنا إلى نقطة الشرطة ، ثم إلى المطار ،
وستصلون في موعد طائرتكم بالضبط .

تألفت عينا دونا (ماريانا) في فخر وظفر ، وهى تضع
سماعة الهاتف ، قائلة :

— لقد سقطوا في الفخ .

هتف (ماريو) في انفعال :

— هل ألفت الشرطة القبض عليهم ؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

٨ — السجن ..

أرعى مأمور قسم الشرطة قبعة الرسمية فوق عينيه ، وهو يتأمل (أدهم) و (قدرى) و (منى) فى برود ، ثم سأل الشرطى الذى أحضرهم :

— ماذا هناك ؟

أجابه الشرطى فى هدوء :

— إنهم شهود حادث طريق ياسيدى .

ابتسم المأمور ابتسامة مقبلة ، وقال :

— حسنا .. اذهب بالفتاة إلى واجدة من فتيات الشرطة

لاستجوابها ، واترك لى الرجلين .

استسلمت (منى) للشرطى ، وهو يصحبها إلى حجرة

جانبية ، فى حين قال (أدهم) للمأمور فى حزم :

— إننا مواطنون مصريون أيها المأمور ، وليس من حقك

احتجازنا هنا .

عاد المأمور يتسم نفس الابتسامة المقبلة ، وهو يقول :

— لا عليك يا سيدى .. إنه استجواب بسيط .

ثم صاح فى غلظة :

— أين المستجوبون ؟ .. أين رجال التحقيقات ؟

— إنهم لا يعلمون أن بعض رجال شرطة \ برشلونة \ يعملون لحسابنا ، وأن حادث السيارة كان متعمداً ، ولن ينتهبوا إلى ذلك إلا بعد أن يكونوا قد خسروا كل شيء .

ابتسم (ماريو) فى إعجاب ، وهو يقول :

— أنت عبقرية يا دونا .. أنت تستحقين الزعامة .

تأملت (ماريانا) ، وهى تغغم فى سخرية :

— هذا صحيح يا (ماريو) ، فمن المضحك أن قوانين الوراثة

قد منحت كل ذكاء والدينا للنساء ، وتركت قوتها للرجال .

عقد حاجبيه فى خيرة ، وهو يقول :

— ماذا تقصدين يا دونا ؟

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

— لا عليك يا عزيزى (ماريو) .. إنك لن تفهم أبدا .

ثم استطردت وهى تخلط وحشيتها بسخريتها :

— تماماً كما سيحار هذا الشيطان المصرى فى فهم ما يحدث

داخل أقسام الشرطة فى (برشلونة) .

وأطلقت ضحكة عالية ، قبل أن تردف :

— وداخل مقابرها .

وعادت تطلق ضحكتها الساخرة الشرسة ..

أسرع إلى الحجرة خمسة أشخاص في ثياب الشرطة . وهتف
أحدهم وهو يؤدى التحية الرسمية :
— فى خدمتك ياسيدى الأمور .

أشار المأمور إلى (أدهم) و (قدرى) فى لامبالاة .
وقال :

— إنهم شهود حادث طريق ، أريد استجوابهم بسرعة ،
حتى يمكنهم اللحاق بطائرتهم .

تردد الرجل لحظات ، ثم قال :
— لا توجد حجرات خالية فى الوقت الحاضر يا سيدى .

ولا يمكننى استجوابهما هنا .
مطاً المأمور شففيه ، وأشار إلى زنزانة مجاورة لمكتبه فى
لامبالاة ، وهو يقول :

— هذه الزنزانة خالية ، يمكنكم استجوابهما فيها ، ما لم
يعرضنا على ذلك .

هز (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :
— لا يهمنى أن يتم استجوابنا أيها المأمور .. المهم أن ينتهى
هذا الأمر بسرعة .

أولاً أحد المستجوبين برأسه علامة الفهم ، وقال فى
احترام :

— حسنا يا سنيور .. تفضلاً .

تقدم (أدهم) فى خطوات سريعة إلى الزنزانة الخالية .
وتبعه (قدرى) ، وهو يغمغم فى سخط :

— وماذا كنتم ستفعلون ، لو أننا نحن المتسببون فى الحادث ؟
على أنه لم يكذب يخطو داخل الزنزانة . حتى دوى صوت
بابها . وهو ينقلب خلفهما فى قوة . وارتفعت ضحكة المأمور
الساخرة . مما فخر غضباً هائلاً فى أعماق (أدهم) . ودهشة
عارمة فى نفس (قدرى) . الذى هتف فى ذهول :
— ماذا يحدث هنا ؟

برقت عينا المأمور فى شراسة ، عبر قضبان الزنزانة . وهو
يقول فى لهجة شامته ساخرة :

— أنت إذن الشيطان المصرى . الذى يصفونه بأنه
(سورمان) القرن العشرين ؟ .. يا له من أغبياء !! ها أنتذا قد
سقطت فى الفخ كالغر الساذج .

شعر (أدهم) بكلمات المأمور الساخرة تمزقه كالسياط ،
وتبين له كم كان ساذجاً . وهو يسقط فى الفخ مهدد الساطة .
وانطلق غضبه عر شفتيه فى هتاف ساخط :

— أيها الحقير .

أطلق المأمور ضحكة ثانية مجلجلة ، وقال :
— قل ما بدا لك أيها الشيطان الساق ، فسيم ترحيلك بعد
ساعتين إلى السجن ، تهمة قتل موظف كبير ، بمعاونة هذا
البدين .. أما في هذه اللحظة ، فزميلتك الحسناء ترقد في سيارة
إسعاف ، مخدرة ، وتجه إلى قصر دونا (ماريانا) .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم في توثر :

— دونا (ماريانا) .. ماذا تعني ؟
رفع المأمور حاجبيه في دهشة مصطنعة ، ثم عاد يقول في
سخرية :

— ألا تعرف دونا (ماريانا) ؟ .. عجباً !! إنها تعرفك
جيّداً . وتدّعي أنك المسئول عن مصرع شقيقتها .. زعيمة
الماس السابقة دونا (ماريانا) .
شهق (قدرى) في رعب ، وغمغم (أدهم) في توثر

بالغ :
— شقيقة دونا (ماريانا) .. يا إلهي !! .. لقد انتهت
(منى) .

تنهّد (قدرى) في يأس ، والتفت إلى (أدهم) ، الذي

يجلس صامتاً ساكناً ، في ركن الزنزانة ، وقد اعتمد رأسه على
ركبتيه المضمومتين ، وغمغم (قدرى) في ألم :

— لقد وقعنا في الفخ كالسذج .
أجابه (أدهم) في صوت بائس منخفض :
— لقد أوقعكم في هذا المأزق بسبب أنايتي ، وإصراري
على مقاتلة الجميع يا (قدرى) .. ولو أصاب (منى) أدنى
مكروه ، قلن أغفر لنفسي أبداً .

هتف (قدرى) في دُعر :
— هل تعتقد أن (ماريانا) هذه ست

قاطعها (أدهم) في ألم :
— منذ عامين تقريباً قفزت (منى) بسيارتها فوق منحدر
خطر في السويد ، وهبطت فوق سيارة دونا (ماريانا) ، شقيقة
(ماريانا) ، فقتلتها ، وسقطت هي نفسها أسيرة غيوبة طويلة ،
لشهور عديدة (*) .

غمغم (قدرى) في توثر :
— إنني أذكر ذلك يا (أدهم) .
واصل (أدهم) حديثه ، وكأنه لم يسمع عبارة قدرى :

(*) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المعامرة رقم (١٢) .

— واليوم نجحت (ماريانا) في اقتصاص الفتاة . التي قتلت شقيقتها ، ولست أشك في أنها تعد لها انتقاماً رهيباً
شحب وجه (قدرى) المكتظ . وهو يغمغم :
— يا إلهى .. وماذا سنفعل ؟ .. ماذا سنفعل يا (أدهم) ؟
لم يكذب عباره ، حتى ارتفع صوت المأمور يقول :
— متجهان إلى السجن .
التفتا إلى ابتسامته الساخرة ، وإلى باب الزنزانة الذى
فُتح . وإلى قُوَّهات المدافع الرشاشة الخمسة ، التى أطلقت منه .
والمأمور يستطرد :

— هيا .. لا يوجد وقت نضيعة ..

نهض (أدهم) . وهو يقول فى هدوء أدهش (قدرى)
نفسه :

— نعم .. هيا بنا يا (قدرى) ، فلا يوجد وقت نضيعة .
تبعه (قدرى) فى استسلام ، وترك المأمور يحيط معصميهما
بالأغلال ، ثم سارا وسط المدافع الرشاشة الخمسة إلى خارج
القسم . حيث وجدا سيارة مصفحة من سيارات السجن
تنتظرهما . وأمامها جنديان ، يصوبان إليهما قُوَّهتى مدفعين
رشاشين . فى حين قال المأمور فى صرامة ساخرة :

— هيا .. اصعدا إلى السيارة المصفحة .
التفت إليه (أدهم) ، وقال فى برود :
— هذه السيارة لا تُروق لى .

ابتسم المأمور فى سخرية ، وقال :

— هل تفضل (الرولزوريس) ؟ أم

ولكن عبارته لم تكتمل ، فقد تحرك (أدهم) فجأة ،
وركل أنف المأمور بكل ما يملك من قوة ، ثم استدار يواجه
قُوَّهات المدافع الرشاشة السبعة .



٩ — الثلاثة في خطر ..

ارتفعت فؤهات المدافع الرشاشة في سرعة البرق نحو (أدهم) ، ولكنه تحرك في سرعة مذهلة ، فأنحنى والتقط جسد المأمور ، ورفع أمامه كدرع واق ، مما جعل الرجال يترددون لحظة في إطلاق النار ، فصاح (أدهم) :

— اهرب يا (قدرى) .. إنها فرصتنا الوحيدة .

انطلق (قدرى) يعدو في خفة ، على الرغم من بدائه المفرطة ، في حين هاجم خمسة من الحراس (أدهم) ، الذي دفع جسد المأمور نحوهم ، ثم قفز عالياً ، وركل أنف أحدهم ، وفك الثاني ، قبل أن يهبط على قدميه ، ويضم قبضتيه ، ثم يهشم بهما أسنان الثالث ، وعنق الرابع ، ويهوى بهما على مؤخرة عنق الخامس ..

فعل كل هذا في ثانية واحدة ، والأغلال الحديدية تحيط معصميه ، ثم غاص إلى أسفل ليتفادى رصاصة أحد الحارسين الآخرين ، وعاد ينتصب في قوة ، ويحطم فك أحدهما بلكمة ساحقة ، ثم يهشم فك الثالي بأخرى مشابهة ..

كانت الضربات تكفي لإسقاط الرجال ، ولكنها لا تكفي لإفقادهم الوعي ؛ لذا فقد تحرك (أدهم) في سرعة ، وانطلق

يعدو نحو نفس النقطة ، التي جرى إليها (قدرى) ، وقفز خلف إحدى السيارات ، ثم انحرف في مدخل بناية مجاورة ، وصعد سلمها في قفزات قوية ، حتى وصل إلى السطح ، فوقف يقيس المسافة التي تفصله عن سطح المبنى المجاور ، وغمغم في حزم :

— هيا يا (أدهم) .. ضع إرادتك كلها في هذه القفزة ،

وإلا فقدت (منى) إلى الأبد .

ثم تراجع خطوة إلى الوراء ، واندفع يجرى نحو حافة السطح ، ثم قفز في الهواء ، وبدت له المسافة التي تفصله عن السطح الآخر كبيرة .. كبيرة .. كبيرة ..

شعرت (منى) بالدوار الشديد ، الذي يكتف عقلها ، ينحسر تدريجياً في نطاء ، وحاولت فتح عينيها ، إلا أن أجفانها بدت لها ثقيلة لبعض الوقت ، ولم تكد تنجح في مزجهما قليلاً بعد لأي ، حتى تسللت إلى عينيها أشعة ضوء قوى ، جعلتها تعود لإغلاق جفنيها . وهي تغمغم في ألم :

— أين أنا ؟ .. ماذا يحدث هنا ؟

تسلل إلى مسامعها صوت ساخر يقول :

— أنت في الجحيم أيتها المصرية .

دفعتها العبارة إلى فتح عينيها في دهشة ، والحملقة في وجه
دونا (ماريانا) في ذهول ، قبل أن يتحوّل ذهولها إلى دُعر ،
وهي تهتف :

— يا إلهي !!.. هذا مستحيل !!.. أنت .. أنت !!..

قاطعتها (ماريانا) في حقد :

— كلاً .. أنا لست هي .. إنني أشبهها فحسب .. أشبه
ضحيتك أيتها القاتلة .

تلقت (منى) حولها في دُعر ، وهي تهتف :

— أين أنا ؟

ابتسمت (ماريانا) ابتسامة ساخرة شرسة ، ودشت
سيجارة ملوثة في طرف مبسمها الطويل ، وأسرع (ماريو)
يشعل السيجارة ، وهي تدس انطرف الآخر للمبسم بين
شفتيها ، ثم نفثت دُخانها في عمق ، قبل أن تقول :

— ألم أقل لك أيتها المصرية ؟ .. أنت في الجحيم .. جحيم
دونا (ماريانا) .

شعرت (منى) بخوف شديد ، خاصة حينما تنبّهت إلى أنها
مقيّدة فوق مائدة تشبه موائد العمليات الجراحية ، وسط

حجرة عارية الأثاث ، رطبة ، تفوح فيها رائحة عطنة . فقالت
في حدة :

— ماذا تريد مني يا (ماريانا) ؟

قلبت (ماريانا) شفتيها . وقالت في شماتة :

— لقد قتلت شقيقتي دونا (ماريانا) يا فتاة المخابرات
المصرية ، وسندفعين الثمن .

عقدت (منى) حاجبها ، وهي تقول في عناد :

— لقد كانت تستحق ذلك .

ظهر الغضب على وجه (ماريانا) لحظة ، ثم عادت تبسم
في شراسة ، قائلة :

— يبدو أنك لا تعلمين المصير الذي أعزّدته لك يا فتاة
المخابرات .

قالت (منى) في صرامة :

— هذا لا يعني .

ابتسمت (ماريانا) في سخرية ، وقالت :

— ربّما .. ولكنني سأشرحه لك .

ومالت نحوها ، مستطردة :

— هل سمعت عن حجرة الفران، التي نهّد بها

الأطفال ؟ .. هذا المكان يا عزيزتى هو حجرة فئران حقيقية ،
فنحن نحفظ فى الفراغ بين جانبي كل جدار بمائتى فأر جائع ..
أنهكها الجوع ، وحوؤها إلى وحوش مفترسة ، تفعل المستحيل
من أجل ما تبلغ به ، وسأسكب بعض الدم على جسدك
الجميل ، ثم ألحادر الحجرة ، وأطلق الفئران .

وانطلقت من بين شفتيها ضحكة ساخرة عالية ، أثارت
رجفة قوية فى جسد (منى) ، قبل أن تستطرد فى شماتة :
— وستكونين وجبة شهية لفئرانى أيتها الحسناء .
امتلات نفس (منى) بالفرع والاشمزاز والغضب ، وهى
تقول :

— أيتها الحفيرة !!

ضحكت (ماريانا) فى سخرية ، وسكبت كأساً من الدم
على جسد (منى) ، وهى تقول :
— ادخري صرختك يا فتاة المخبرات ، فستحتاجين إلى
رصيد كبير منها ، حينما تنشب الفئران أنيابها فى جسدك .
وانجهت إلى الباب ، وهى تقول :

— وداعاً .. وداعاً يا فتاة المخبرات المصرية ..

وانطلقت من حنجرها ضحكة ساخرة ، شامته ، وحشية .

انطلق (قدرى) يعدو مبتعداً عن منطقة صراع (أدهم)
مع رجال الشرطة ، ولكن جسده البالغ البدانة جعله يلهث فى
سرعة ، وتتقطع أنفاسه على بعد أمتار قليلة من المكان ، فالتقى
نفسه فى مدخل بناية عالية ، وسقط على الأرض يلهث فى ألم ،
ويغمغم فى شحوب :

— يا إلهى !!! يبدو أن البدانة صفة سيئة حقاً .

وترك جسده البدين يسترخى ، وهو يواصل غمغمته :

— ترى .. هل نجح (أدهم) فى الفرار ؟ .. لا ريب أنه
نجح ، فهذا الشاب رائع ، على الرغم من عناده الشديد .
أخذ يلهث بعض الوقت ، ثم نهض فى صعوبة ، وهو
يغمغم :

— أعتقد أنه من الأفضل أن أبعد ، فهذه الأغلال فى
معصمى تثير الانتباه بشده ، على الرغم من بدانتى ، التى تعبر
عن طيبتى .

وتحرك فى هدوء نحو مدخل البناية ، وقبل أن يختلس النظر
خارجها ، فوجئ بفؤهة مسدس أمام عينيه ، وبصوت صارم
يهتف بالإسبانية :

— حذار أن تخطو خطوة واحدة أيها البدين ، وإلا صنعت

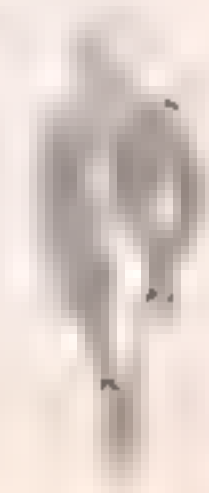
في جسدك تقوبا تكفى لإسالة شحوم جسمك كلها .

وفي حركة يانسة ، غريزية ، لطم (قدرى) اليد التي
تمسك المسدس ، وراه يطير بعيدا ، لدفع قبضته في وجه
الرجل ، وهو يهتف :

— ابتعد أيها الإسباني .. إنه طريقى .

سقط الشرطى الإسباني أرضا ، وتخطاه (قدرى) بقفزة
ثقيلة ، ثم حاول أن يعدو مبتعدا ، إلا أنه رأى شرطيا آخر يندفع
نحوه من الاتجاه المقابل ، وسمع صوت الشرطى الأول يصرخ
في غضب :

— توقّف أيها البدين .. سأطلق النار .. أنت الملووم ..
سأطلق النار .



١٠ — قتال الشيطان ..

كانت المسافة التي تفصل بين البناتين كبيرة ، ولكن قفزة
(أدهم) كانت هائلة ، حتى أنه نجح فيما يشبه المعجزة ، في
الوصول إلى البناية الثانية ، ثم أخذ يلهث في قوة ، وترك جسده
يسترخى في إرهاق ، حتى انتظمت أنفاسه ، فاعتدل ، ورفع
معصميه أمام وجهه ، يتأمل القيد الحديدى ، وغغم في
سخط :

— هل ظنم أن هذا الشيء السخيف سيوقف (أدهم
صبرى) أيها الأوغاد ؟

ثم قلب ياقة قميصه ، والتقط منها دبوسا معدنيا ، دسّه في
قفل أغلاله الحديدية ، وأخذ يحركه في مهارة ، حتى سمع
صوت تكّة خافتة ، فابتسم في ثقة ، وهو ينزع الأغلال من
معصميه ، ويلقى بها بعيدا ، ثم نهض واقفا ، وقال في حزم :
— والآن يبدأ صراعنا الحقيقى يا دونا (ماريانا) .

تجمدّت أطراف (منى) ، حينما بدأت تسمع صوت مخالف
الفئران ، وهى تمش الجدران ، وزاد ظلام الحجرة من دُعرها

وتوثرها ، وحِيل إليها أنها تشم رائحة الفئران ، التي عملاً
المكان ، فغمغمت في رعب :

— أين أنت يا (أدهم) ؟ .. هل ستركني هكذا ؟

تم عادت تصمت ، وترهف سمعها ، في محاولة لمعرفة كم
تبقي على مصيرها ، وعاد جسدها يرتجف في رعب هائل ، حينما
التقطت أذنها أصوات الفئران ، ثم انتفضت في قوة ، عندما
شعرت بأهداب رفيعة تمس وجهها ، وصرخت في قوة :

— ابتعدوا .. ابتعدوا يا أحقر حيوانات الأرض .

وانفجرت تبكي في حرارة ، وهي تقول لنفسها :

— سيعودون .. سرعان ما يتبين لهم أنني عاجزة عن
مواجهتهم ، وعندئذ سيهجمون بلا رحمة .. بلا رحمة ..

وعاد جسدها يتفض من هول ذلك المصير المرعب .
وامتلاً عقلها بفكرة واحدة ..

(أدهم صبرى) ..

انهك مأمور القسم في تضמיד أنفه الحطّم ، وهو يغمغم
في سخط :

— اللعنة على هذا الشيطان .. لقد هشّم عظام أنفى تماماً
بركلته .. لقد حِيل إلى أن البناء قد انهار على أنفى .

وتأمل ضماداته في مرآة صغيرة أمامه ، ثم عاد يقول في
غضب :

— ماذا تريد دونا (ماريانا) من هذا الشيطان ؟ .. إنها
متسبب في مصرعنا جميعاً قبل أن تصل إليه ..
وفجأة .. تحجرت عيناه ، واتسعتا عن آخرهما ، وهو
يحذق في المرأة برعب هائل ، فقد رأى وراءه صورة الشيطان
الذى حطّم أنفه ..

صورة (أدهم صبرى) ..

وقفز المأمور في رعب ، محاولاً التقاط مسدسه ، المعلق على
الحائط ، ولكن قبضة (أدهم) كانت أسرع منه ، فقد أمسك
بسترته الرسمية ، وجذبه إليه في قوة فولاذية ، ثم لكّم أنفه في
قوة ، جعلت الدماء تعود لتلوّث الضمادات النظيفة ، فدارت
عينا الرجل في محجريهما ، وهو يهتف في ذعر :

— ماذا تريد مني ؟ .. كيف وصلت إلى هنا ؟

جذبه (أدهم) إليه في قوة ، وقال في صرامة :

— لم يتوقع أحدكم أن أعود إلى هنا .. أليس كذلك ؟
ارتجف المأمور ، وهو يقول في صوت أقرب إلى البكاء :

— ماذا تريد مني يا سيور ؟

سأله (أدهم) في حزم ، حول ارتجافه الرجل إلى رعشة
قاتلة :

— أين أجد دونا (ماريانا) ؟

أجابه الرجل في انهمار :

— في قصرها يا سيور .. أنا لم أفعل شيئاً .

قال (أدهم) في صرامة :

— سترشدني إلى عنوان القصر أيها الوغد ، وإلا حطمت

عنقك .. هيا .. فلا وقت نضيعة .

★ ★ ★

استلقى المأمور فاقد الوعي عند قدمي (أدهم) ، الذي
ارتدى زى رجال الشرطة ، ووضع على رأسه القبعة الرسمية
للمأمور ، ثم وضع مسدساً في حزامه ، ودسّ آخر في جوربه ،
وتأمل هيئته في مرآة المأمور الصغيرة ، وغمغم في سخرية :
— لن يمكنني خداع طفل صغير بتكرى هذا ، ولكنه سيفي
بالغرض على الأقل .

ثم نصب قامته ، واتجه في خطوات ثابتة إلى خارج القسم ،
وقفز داخل إحدى سيارات الشرطة ، وأدار محركها ، فاندفع
نحوه الشرطي المسئول عنها ، وهو يهتف :

— إلى أين أيها الضابط ؟ .. إنها سيارتي .

رفع (أدهم) عينيه إليه في صرامة ، وهو يقول في شدة ،
وبإسبانية سليمة :

— ألم تبلغك أوامر رئيسك أيها الشرطي المهمل ؟ .. إنها
مهمة عاجلة ، وسيارتك هي الوحيدة المعدة للانطلاق .

ارتبك الشرطي ، وغمغم في تلثم :

— ولكن هذه الأوامر لم تبلغني قط يا سيدي و

قاطعته (أدهم) في جذّة :

— هذا لأنك شرطي مهمل ، لا ريب أنك لم تكن هنا ،

حينما أمر رئيسك بذلك .

اعتدل الشرطي في وقفته ، وغمغم في قلق :

— حسناً يا سيدي .. حسناً .. هل تحب أن أقود أنا

السيارة ؟

أجابه (أدهم) في صرامة واقضاب :

— لا ..

ثم انطلق بالسيارة ، قبل أن ينطق الشرطي بحرف واحد ،
وتابعه الشرطي في ارتباك ، حتى اختفى في منعطف قريب ،
ثم غمغم في خيرة :

... ولكن من هو ؟ .. إنها أول مرة أراه فيها هنا .

انطلق (أدهم) بسيارة الشرطة ، في الطريق المؤدى إلى قصر دونا (ماريانا) ، وهو يحدث نفسه قائلاً :

— يا لك من مجازف يا (أدهم) !! إنك تقوم بما يطلق عليه ، في عالم الخبايا ، اسم الهجوم الارتجالي ، فأنت لا تعلم شيئاً عن وكر هذه الأفعى .. لا عن أسلوب حراسته ، ولا وسائل الأمن فيه .. إنك لا تعلم حتى حجمه ، أو اتساع حديقته .

ثم ابتسم في سخرية ، مستطرداً :

— ولكنك اعتدت هذا ، أو أنك تتلذذ به ، فمن المفروض أن يثير هذا فيك قدراً — ولو ضئيلاً — من الخوف ، فما بالك تتجه إليه هكذا بلامبالاة ؟

لاح له مع بداية المنعطف الأخير قصر دونا (ماريانا) الشاهق ، الذى يبدو من بعيد كقصور الأساطير ، فغمغم في سخرية :

— وبلك يا (أدهم) !! هاأنذا قد أصبحت على قيد أمتار من الجحيم ، وسيكون عليك أن تطأه بقدميك .

اتجه بالسيارة حتى بوابة القصر ، وتوقف أمام حارسها الوحيد ، الذى يبدو بقامته الضخمة ومدفعه الرشاش ، كواحد من محاربى (الساموراي) فى اليابان القديمة ، واتجه إليه الحارص قائلاً :

— ماذا تريد أيها الشرطى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— أريد مقابلة دونا (ماريانا) .

تطلع إليه الرجل فى استخفاف ، وقال :

— هكذا ببساطة ؟ .. إن دونا لا تقابل أى مخلوق إلا

بموعد سابق أيها الشرطى .

استرخى (أدهم) فى مقعده بهدوء ، وهو يقول فى

سخرية :

— الشرطة لا تحتاج إلى موعد سابق لاستجواب أى متهم .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وقال :

— ومن ذا الذى يتهم دونا (ماريانا) أيها الشرطى ؟

قال (أدهم) فى برود :

— ليس هذا من شأنك أيها الخنزير .. هل منفتح البوابة ،

أو أقتحمها بسيارتى ، وأقذف بك بعيداً ؟



ثم أدخل ماسورة مدفعه الرشاش عبر النافذة التي
يجلس (أدهم) إلى جوارها ، وألصق قُوَّته برأس (أدهم) ..

فبهقه الرجل في سخرية ، وقال :
— سيسعدني أن أرى ذلك أيها الشرطي المتحذلق ، فهذه
البوابة مصمَّمة بحيث تصد هجوم دبابة ، وهي مشحونة بسيار
كهربى يكفى لقتل فيل .

ثم انحنى نحو (أدهم) فجأة ، وسأله :
— ولكنك لم تخبرنى بعد من أنت ؟
تطلع إليه (أدهم) في سخرية ، وقال :
— أأصابك العمى يا رجل ؟ .. أم أنك تتظاهر بالبلاهة ؟ ..
ألا ترى هذا الزئى الذى أرتديه ؟ .. أو تلك السيارة التى
أقودها ؟

هزَّ الرجل كتفيه الضخمتين ، وقال :
— الزئى يمكن شراؤه من عشرات المحال التجارية ،
والسيارة يمكن تغييرها بقليل من الصلاء والمهارة
ثم أدخل ماسورة مدفعه الرشاش عبر النافذة التى يجلس
(أدهم) إلى جوارها ، وألصق قُوَّته برأس (أدهم) . وهو
يقول في سخرية :

— ثم إبنى أعلم أنك لست شرطياً . وأنتك رجل محاورات
مصرى .. معروف باسم (أدهم صبرى) . فمن سوء حظك

١١ - في وكر الأفعى ..

كانت مثل هذه المفاجأة كفيلة بتحطيم أعصاب أشد الرجال بأسًا ، ولكن (أدهم صبرى) كان يختلف .
لهو رجل بلا أعصاب ، أو بأعصاب فولاذية ، لا تتحطم أبدا ..

ولقد كان ذلك الحارس العملاق واثقا من النصر ، وهو يواجه (أدهم) بهذه المفاجأة ، ولكن الثانية التى تلت آخر حرف من محاضراته الطويلة ، أثبتت له أنه مخطئ ، فقد أمال (أدهم) رأسه إلى الوراء فى سرعة ، وقبض على ماسورة المدفع الرشاش يميناه ، وجذبه إلى داخل السيارة فى قوة ، بحيث وجد الحارس جسده يندفع نحو جسم السيارة فى قوة ، وفى نفس اللحظة فتح (أدهم) باب السيارة ، ودفعه فى وجه الحارس بكل ما يملك من قوة ..

ولقد كان لذلك المزيج من الحركتين المتضادتين أثر قوى ، فقد ارتطم الباب بوجه الحارس الضخم ، وحطم اثنتين من أسنانة الأمامية ، وأجبره على التخلّى عن مدفعه الرشاش ، والسقوط على ظهره فى ضجة شديدة ، كأنّ صخرة ضخمة سقطت من ارتفاع خمسة طوابق ، وارتطمت بالأرض ..
وقفز الحارس واقفا على قدميه ، فى رشاقة عجيبة ، بالنسبة

أن دوننا (ماريانا) كانت تتوقع إقدامك على مثل هذه الخطوة الانتحارية ، فجعلتنى أحفظ صورتك عن ظهر قلب .. إنها نهاية رحلتك أيها الشيطان المصرى .



لمن يملك جسداً بالغ الضخامة كجسده ، وهو يسب سائحاً ،
وأراد الاندفاع نحو السيارة . ولكنه رأى (أدهم) واقفاً أمامها
في هدوء ، عاقداً ساعديه أمام صدره ، ويقول في سخرية :

— يسعدني أننا تعارفنا في سرعة ، بدلاً من إضاعة الوقت .

زجر الحارس في غضب ، وهو يقول :

— لا تعقد ساعديك أمام صدرك ، مادمتم تنوى التظاهر

بالبطولة أيها المفلوج .

ثم اندفع نحو (أدهم) ، ودفع قبضته في وجهه بأقصى
ما يملك من قوة ، ولكن (أدهم) تفادى اللكمة الساحقة في
بساطة مذهشة ، وهو يقول في سخرية :

— خطأ أيها الوغد .. ينبغي أن تفقد طناً من الشحم أولاً .

قال هذا ، ولكم الحارس في معدته بقوة ، جعلت عينيه
تجحطان في ألم ، ثم هوى على فكّه وأنفه بلكمتين متعاقبتين زلزلتا
كيان الرجل ، وجعلتا الدماء تندفع إلى وجهه ، ثم تدفق من
أنفه وشفتيه . إلا أن بنيانه الضخم جعله يقاوم الآلام الرهيبة ،
التي يشعر بها ، واندفع نحو زر الإنذار . المثبت بجوار البوابة ،
وهو يهتف في صوت متحشرج :

— لن تربح أيها الشيطان .. لن تربح أبداً .

★ ★ ★

قليلون هم من رأوا واحدة من قفزات (أدهم) المذهلة .
ولقد كان من سوء حظ ذلك الحارس الضخم . أنه واحد من
هؤلاء : فلقد قفز (أدهم) قفزة بلغت المترين ارتفاعاً ، عبر
بها جسد الحارس . وهبط على قدميه في منتصف المسافة . بين
الحارس وزر الإنذار ..

واتسعت عينا الحارس ، وكادت تقفزان من محجريهما .
وسقطت فكّه السفلى على نحو جعله أشبه بالبلهاء ، وهو يحدق
في وجه (أدهم) مذهولاً ، وتسمّر في مكانه ، حتى أنه لم
يستطيع صد لكمة (أدهم) ، التي حطمت ما بقي من
أسنانه . ولا الأخرى التي انفجرت بين عينيه ، وجعلت
السماء تظلم أمامه ، قبل أن يسقط كفيل صريع ..

وفي سرعة ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، تجاوز (أدهم)
جسد الحارس ، والتقط مدفعه الرشاش ، ثم استدار إلى حيث
توجد أزرار البوابة ، وضغط الزر الذي يفتحها على مصراعها ،
وأسرع يقفز في سيارة الشرطة ، ويدير محركها ، وهو يغمغم
في اهتمام :

— والآن إلى وكر الأفعى .

وانطلق بالسيارة يعبر حديقة دونا (ماريانا) ، نحو قصرها
الشامخ ، الذي يرتفع فوق أعلى ربوة في (برشلونة) .

★ ★ ★

غمغم (ماريو) في توثر ، وهو يراقب شاشة تليفزيونية
صغيرة أمامه :

— لقد اجتاز بوابة القصر يا دونا ، وها هو ذا في طريقة إلى
هنا .

ابتسمت دونا (ماريانا) في هدوء ، وقالت وهي تنفث
دخان سيجارتها الملونة :

— دغة يصل بقدميه إلى القصر يا (ماريو) .. دع غروره
يصور له أنه مازال منتصرا حتى هذه اللحظة .

هز (ماريو) كتفيه ، وتمتم في خيرة :

— لست أدري طبيعة لحطتك بالضبط يا دونا ؟

ابتسمت في سخرية ، وهي تقول :

— لا تشغل عقلك الصغير يا عزيزي (ماريو) .. دع

التفكير لي ، والتفيل لك .

عقد حاجبيه ، وهو يقول في غضب :

— لابد أن ألهم على الأقل .

ضحكت في استهتار ، وهي تقول :

— سيضيع عمرنا كله ، لو أنك تصرّ على ذلك يا عزيزي

(ماريو) .

هتف في غضب :

— ماذا تعنين ؟

لوححت بكفها في حدة ، وهي تقول في صرامة :

— كفى يا (ماريو) .. إنك تشئت تفكيرى في هذه
اللحظات الحرجة .

ثم تألقت عيناها في مزيج من الجدل والشراسة ، وهي
تستطرد :

— دغنى أهتم أولاً بإعداد استقبال مناسب لصديقنا
(أدهم صبرى) .

★ ★ ★

وصل خوف (منى) إلى ذروته ، وهي تحاول أن يأس
التخلص من قيودها ، وأصوات الفئران تصل إلى مسامعها ،
وهي تتحرك في كل مكان حولها ، واغرورقت عيناها بدموع
الألم ، وهي تغمغم :

— لا تركنى هكذا يا (أدهم) .. لا ترك هذه الحيوانات
القدرة تلتهمنى .

كانت الوسيلة التي أعدتها دونا (ماريانا) لقتلها بشعة مخيفة ،
حتى أنها لم تشعر في حياتها كلها بمثل هذا الألم والخوف والفرع ،
وحيل إليها أن أطرافها قد دخلت تماما من الدماء ، وانتابتها الهواجس .
فصوّرت أن الفئران تقرض أطراف أصابع قدميها ، وتتسلل

إلى شعرها وجسدها ، وبدت لها أصواتها تعلو وتتضاعف ..
إنها عشرات .. بل مئات .. بل آلاف ..
ولم تعد تستطيع الاحتمال ..
انهارت مقاومتها تمامًا ..
وجمعت كل ما بقي من آدميتها في صرخة واحدة ..
صرخة تحمل اسم (أدهم) ..
ثم غابت عن الوعي تمامًا ..

★ ★ ★

أوقف (أدهم) سيارته أمام باب القصر ، وهبط منها في هدوء ، متجاهلاً الحراس الأربعة ، الذين اندفعوا نحوه في عصبية واضحة ، وشهروا مدافعهم الرشاشة في وجهه ، وهتف أحدهم في جحظة :

— من أنت ؟ وكيف وصلت إلى هنا ؟

تظاهر (أدهم) بالسخط ، وهو يقول :

— يا لكم من بلهاء !! لقد غيّرت البوابة بالفعل ، وذلك

الفيل هناك هو الذي سمح لي بذلك .

صاح الرجل في غضب :

— أنت كاذب .. فلو أن (زاندو) سمح لك بالدخول ،

لأبلغنا لاسلكيًا .. قل الحقيقة ، كيف دخلت إلى هنا ؟

تظاهر (أدهم) بالغضب ، وهو يصيح في وجه الرجل بثبات :

— هل جئت لتشهر مدسك في وجه رجل شرطة أيها
الوغد ؟ .. إذا كان زميلك الخنزير قد أهمل إبلاغكم بدخولي
فهذا خطؤه ، ولتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .
تبادل الحراس الأربعة نظرات مسترية ، ثم أخرج أحدهم
جهاز اللاسلكي من جيبه ، وقال في صرامة :
— حسنًا .. سأسأل (زاندو) ، ولكك ستقدم كثيرًا ،
لو أنك لم تذكر الحقيقة يا رجل ، حتى ولو كنت مدير جهاز
الشرطة نفسه ..

هز (أدهم) كفيه في لامبالاة ، واستد في هدوء إلى
مقدمة سيارته ، في حين هتف الرجل غير جهاز اللاسلكي :
— من حراسة القصر إلى (زاندو) .. هل سمحت لرجل
شرطة بالدخول ؟ .. أجب يا (زاندو) .. هل سمحت له
بالدخول ؟

مضت لحظة من صمت ثقيل ، قبل أن يرتسم الغضب على
وجوه الحراس الأربعة ، ويهتف أحدهم في جحظة وسخط :
— إنه لا يجب .. لقد قتلته أيها الرجل ، وستدفع الثمن .
وارتفعت قوّهات المدافع الرشاشة الأربعة في وجه
(أدهم) .

★ ★ ★

يبدو أن أخطر عيوب الأسلحة النارية ، هي أنها تجعل حاملها يظن أنه أقوى وأكثر ذكاءً مما لا يحملونها ، كما أنها تجعله قليل الاهتمام بتنمية قدراته البدنية ، وكأنما يظن أن سلاحه يجعل عضلاته أقوى ، واستجابته أسرع ..

ولاريب أن الحراس الأربعة قد تأكدوا من خطأ هذه النظرية ..

لقد شهروا مدافعهم في وجه (أدهم صبرى) ، وهم يظنون أن النصر لهم لا محالة ، ولكنهم فوجئوا بـ (أدهم) يتحول من رجل عادى إلى إعصار ..

إعصار انقضَّ على فلك أولهم فهشَّمه ، وانتزع مدفعه الرشاش ، ليهوى به على رأس الثانى ، ثم غاص في معدة الثالث ، وحطَّم أنفه . واستقر في وجه الرابع ، فحوَّله إلى أشلاء .. وفي لحظة واحدة ، اختفى الإعصار من أمام عيونهم ، أو من أمام أجسادهم المنهارة ، وقفز فوق سلاالم القصر ، ودفع بابه بقدمه ، ثم شهر مدفعه الرشاش في وجوه الرجال ، الذين اندفعوا نحوه من كل صَوْب ، وأطلق رصاصاته في سخاء ، وهو يعدو نحو الحجرة الوحيدة ، التى رأى بابها مفتوحاً ،

والرصاصات تنهال حوله كالطر ، ثم قفز داخل الحجرة ، وأغلق بابها خلفه في إحكام .. ولم يكذب فعل حتى سمع من خلفه صوتاً أنشويًا هادئاً ، يقول في لهجة أقرب إلى السخرية :

— مرحباً يا سنيور (أدهم) .. لقد كنت أنتظرِكَ منذ حوَّلت وجه (زاندو) ، حارس البوابة ، إلى عَجَّة .

استدار (أدهم) في سرعة ، وضاعت عيناه ، وهو يتطلَّع إلى دونا (ماريانا) ، التى جلست هادئة في ركن الحجرة ، تدخن سيجارتها الملونة ، وإلى جوارها (ماريو) ، يصوَّب إليه مسدسه بأصابع مرتجفة ، وقبل أن يشهر (أدهم) مدفعه في وجهيهما ، ضغطت دونا (ماريانا) زرَّ جهاز صغير إلى جوارها ، وقالت في هدوء :

— أوقفوا إطلاق النار أيها الأغبياء .. إن السنيور (أدهم) ضيفى هذه الليلة ، ومن حُسن الضيافة ألا نطلق النار على الضيوف .

ولدهشة (أدهم) توقَّف إطلاق النار فجأة في الخارج ، والتفت دونا (ماريانا) إلى شقيقها ، وقالت في هدوء صارم :

— هل سمحى يا (ماريو) ؟

تردَّد (ماريو) ، وهو يقول في خيرة :

— ولكن يا دونا ..

قاطعه في برود :

— اخفض سلاحك يا (ماريو) .. إن السنيور (أدهم)

لن يقاتلنا منذ هذه اللحظة .

ثم التفت إلى (أدهم) ، وهي تستطرد في برود :

— فزميلته العزيزة مازالت بين أيدينا .

وتحوّلت لهجتها إلى السخرية والثقة ، وهي تردف :

— أليس كذلك يا سنيور (أدهم) ؟

★ ★ ★

مرّت لحظة من صمت ثقيل ، مشوب بالخذر ، بعد أن

نطقت دونا (ماريانا) عبارتها ، ثم خفض (أدهم) قُوْمة

مدفعه الرشاش ، وهو يقول في صرامة :

— أين هي يا (ماريانا) ؟

حدّقت في وجهه لحظة ، ثم غمغمت في برود :

— دونا (ماريانا) يا سنيور (أدهم) .

عقد حاجيه ، وهو يقول في حزم :

— لو أنك أضعت لحظة أخرى ، دون أن تخبريني أين

(منى) ، فستحوّلين إلى المرحومة (ماريانا) .

ابتسمت (ماريانا) في استخفاف ، وهي تقول .

— إنها أول مرّة نلتقى فيها وجهها لوجه يا سنيور (أدهم) ،

ولكننى أعلم عنك الكثير .. فقد قضيت العامين الماضيين في

دراسة شخصيتك ، والبحث عن وسيلة مثالية لتحطيمك ،

والحاق أكبر ضرر ممكن بصديقتك ، التي قتلت شقيقتنا

الكبرى ، ثم أتت الفرصة لتلقى نفسها تحت قدمي ، وهأنذا

تطالبني بالتخلّي عنها من أجل عبارة صارمة ، فهل تظن هذا

منطقيًا ؟

عاد (أدهم) يرفع قُوْمة مدفعه الرشاش في وجهها ، وهو

يقول في غضب صارم :

— أين (منى) أيتها الحقيرة ؟

استرخت (ماريانا) في مقعدها ، وقالت في هدوء :

— هل تحب أن تعرف حقًا يا سنيور (أدهم) ؟

أجابها (أدهم) في صرامة :

— وبسرعة يا (ماريانا) .

تألّق الجدل في عينيها ، وهي تقول :

— حسنًا يا سنيور (أدهم) .. إنها ترقد الآن في واحد

من أقية القصر الرطبة ، المظلمة ، مقيدة في إحكام إلى منضدة

كبيرة ، وحولها مئات الفئران ، تنظف أنيابها استعدادًا لالتهامها .

اتسعت عينا (أدهم) في دُعر ، ثم هتف في غضب هادر مخيف :

— وسط الفئران ؟ .. يالك من حقيرة !!

لم يكذب بكلمته ، حتى قفز (ماريو) نحوه ، وهو يهتف في جنون :

— لن تسترجعها أيها الشيطان المصبرى .. لن تسترجع الفتاة التي قتلت شقيقتنا .

★ ★ ★

كان أسهل ما يمكن أن يفعله (أدهم) ، هو أن يدير قُوَّته مدفعه الرشاش نحو (ماريو) ، ويفرغ رصاصاته في جسده .. لو أن أى رجل آخر في موضع (أدهم) ، ما تردَّد في فعل ذلك ..

ولكن (أدهم) كان شخصية عجيبة ..

إنه لا يتردَّد في إطلاق النار على أى مخلوق ، لو أنه وجد أنها الوسيلة الوحيدة للدفاع عن حياته ، ولكنه لا يفعل ذلك أبدًا ، مادامت هناك وسيلة أخرى ..

ولقد كانت الوسيلة موجودة في قبضة (أدهم) ، التي استقبل بها معدة (ماريو) في قوة ، جعلت هذا الأخير يتصور أن قبضة (أدهم) قد غبرت جسده ، ونفذت من ظهره ، وحاول أن يشهق معبرًا عن ألمه ، إلا أن قبضة (أدهم) الأخرى حولت فكّه إلى عظام مفككة مهشمة ، ولكنه لم يشعر هذه المرة بالألم ، فقد تلاشت آلامه كلها ، حينما سقط عند قدمي (أدهم) فاقد الوعي .

وهنا فقط تلاشت ثقة (ماريانا) ، وانتابها فزع شديد .. لقد كانت تعلم أن (أدهم) يمتلك قدرات غير عادية ، ولكنها كانت أول مرة تشاهد فيها هذه القدرات .. ولقد بعث هذا في قلبها الرعب ، فتراجعت وهي ترتجف ، حينما قفز (أدهم) نحوها ، وجذبها إليه من عنقها في قسوة ، وهو يقول :

— أين (منى) يا (ماريانا) ؟

أعادتها عبارته إلى عنادها ، فصاحت في غضب :

— مستحيل !! لن أتركك تنتزع انتصارى أبدًا .. الفتاة

التي قتلت شقيقتي لن تنجو من قبضتي .

شدَّد ضغطه على عنقها ، وهو يقول في حزم وصرامة :

— سأجبرك على إرشادى إليها أيتها الأفعى .
 صاحت فى جنون :
 — مستحيل !! لن يسمح لك رجالى بذلك .
 أجابها فى جِدَّة وصرامة :
 — سأنقذ (منى) أيتها الأفعى .. سأنقذها مهما كان
 الثمن .

★ ★ ★



فتراجعت وهى ترتجف ، حينما قفز (أدهم) نحوها ..

امتلات قلوب رجال دونا (ماريانا) بالدهشة والخيرة والتوكر ، حينما رأوا (أدهم) يغادر حجرتها ، وهو يحيط عنقها بذراعه في قوة ، ويلصق قوّة مسدّس (ماريو) في صدغها بقوة ، وهو يقول في مزيج من الغضب والصرامة :

— حذار أن يحرك أحدكم إصبعًا واحدًا ، وإلا كان عليكم استخدام ملقط دقيق ، لجمع أجزاء رأس زعيمكم .

أرادت دونا (ماريانا) أن تصرخ في وجوه رجالها ، وتأمرهم بإطلاق النار على رأس (أدهم) ، مهما كانت النتائج .. إلا أن (أدهم) كان قد كتم فمها في قوّة ، حتى يمنعها من إلقاء أى أمر متهور جنونى ..

وفي ببطء وحذر ، دفع (أدهم) دونا (ماريانا) أمامه ، عبر بهو القصر الواسع ، وهو يقول في جدّة :

— فليقدنا أحدكم إلى القبو ، الذى تضعون فيه الفتاة .

تردّد الرجال لحظة أخرى ، ثم انفصل أحدهم عن المجموع ، وسار أمام (أدهم) وأسيرته في صمت ، والجميع يراقبون الموقف في غضب وعصية ، وحاولت دونا (ماريانا) التخلص من قبضة (أدهم) أكثر من مرّة ، ولكن محاولاتها

لم تكن تسفر إلا عن شعور بالاختناق والألم ، مما جعلها في النهاية تستسلم ، وتركه يدفعها أمامه حتى القبو . الذى تسجن فيه (منى) .. ولم يستطع (أدهم) الانتظار حتى يفتح الرجل باب القبو ، بل دفعه بقدمه في قوّة ، وهو يتف في توثر :

— أين مفتاح الإنارة ؟

أسرع الرجل بضئ القبو ، في حين وصل توثر (أدهم) إلى ذروته ، مع صوت الفئران ، التى تملأ المكان .. ولم يكده الضوء يغمر القبو ، حتى اتسعت عينا (أدهم) في ذهول ، وتراخت قبضته حول عنق (ماريانا) ، وهو يغمغم :

يا للبشاعة !! يا للبشاعة !!

لعل البعض يتصوّر أن مبعث ذهول (أدهم) هو رؤيته للفئران ، وهى تلتهم جسد زميلته (منى) ، ولكن العجيب أن مبعث دهشته كان عكسيًا ، إذ كان القبو خاليًا تمامًا من أية حيوانات صغيرة أو كبيرة ..

لم يكن هناك سوى جسد (منى) الشاحب ، الفاقد الوعى ، بالإضافة إلى أجهزة صوتية شيطانية ، توحى بوجود آلاف الفئران في المكان ..

وهتف (أدهم) في غضب :

— لماذا ؟ .. لماذا فعلت بها هذا أيتها الحقيرة ؟

أفلتت (ماريانا) من قبضته ، وجذبت الكمامة عن
فمها ، وهى تصرخ فى جنون :

— لقد أقسمت أن تموت الفتاة التى قتلت شقيقتى ألف
مرة ، وهذا الفرع الهائل ، الذى عاشته طوال الساعة الماضية ،
كان أول خطوة فى انتقامى .

وأطلقت ضحكة جنونية مخيفة ، قبل أن تستطرد فى
جنون :

— حاول أن تخيلها وهى مقيدة فى قبو مغلق مظلم ، والجو
حولها يوحى بوجود مئات الفران ، تستعد لالتهامها ، وما بين
لحظة وأخرى تمس وجهها أهذاب صناعية ، تجعلها تظن أن
الفران تشتمها قبل التهامها .. رعب هائل وفرع رهيب ..
إننى أعجب كيف لم يقتلها كل هذا .

هتف (أدهم) فى غضب :

— أيتها الحقيرة !! إنك أكثر بشاعة من شقيقتك !!

عادت دوننا (ماريانا) تطلق ضحكة جنونية أخرى ، وهى
تقول :

— لم تعد هناك فائدة أيتها الشيطان .. لقد خسرت ..
خسرت فرصتك الأخيرة .

لم يفهم (أدهم) ما تعنيه ، إلا عندما شعر بفؤهة المدفع
الرشاش الخاص برجلها ، وهى تلتصق بعموده الفقرى ، وسمع
الرجل يقول فى حدة :

— إنها على حق أيتها الشيطان المصرى .. لقد خسرت
فرصتك الأخيرة .

★ ★ ★

لو أن (ماريانا) ورجلها حسبا حالة الغضب الهائل ، التى
يمر بها (أدهم صبرى) ، والتى تعربد فى أعماقه ، ما حاولا
مضاعفتها فى هذه اللحظة ، فالغضب يدفع فى عروق الرجل
العادى قوة جبارة ، فما بالك برجل مثل (أدهم
صبرى) ؟ ..

لقد فوجئ الرجل ، الذى يمسك المدفع الرشاش ،
بـ (أدهم) ينحن جانباً ، ثم يميل ليقبض على المدفع الرشاش
بقبضته اليمنى ، ويجذبه إليه ، ويدفع مرفقه الأيسر كالقنبلة فى
صدر الرجل الذى اندفع إلى الأمام ، ثم تحطمت إحدى ضلوعه
فى صوت مسموع ، قبل أن يرتد إلى الخلف فى قوة ، ليصطدم

بالحائط أمام عيني (ماريانا) ، التي اتسعت في دُعر ، وهي
تندفع خارج القبو ، صارخة :

— النجدة يا رجال !! النجدة !!

وفي حركة سريعة ، دفع (أدهم) الرجل خلفها ، إلى
خارج القبو ، ثم أغلق بابه في إحكام ، وغمغم وهو يتحرك
نحو (منى) :

— من حسن الحظ أن تلك اللعينة قد صنعت باب القبو
من الفولاذ ، حتى تمنع من تسجنه فيه من الفرار ، وفي حالنا
هذا سيكون لذلك الباب الفولاذي أثر عكسي ، فهو سيمنعها
ورجالها من اقتحام القبو .

وأخذ يحمل وثاق (منى) في سرعة ومهارة ، ثم أخذ يربّت
على وجنتيها في حنان ، متجاهلاً الحالة المعقدة التي تحيط بهما ..
وبعد حوالي خمس دقائق فتحت (منى) عينيها ، وحدّقت في
وجه (أدهم) بذعر ، قبل أن تهتف في صوت مرتجف ، يمتلئ
بالفرع والشجوب :

— (أدهم) ؟ .. أنت هنا حقاً ؟ .. أنت هنا ؟

ثم انفجرت بالبكاء ، وهي تتعلّق به ، وتصرخ في رعب :

— الفئران يا (أدهم) !! الفئران !! كانت ستلتهمني .
ربّت على رأسها في حنان ، وهو يغمغم :

— لا توجد فئران يا عزيزتي ، لقد انتهى كل شيء .. انتهى
كل شيء .

ولكنه كان يعلم في قرارة نفسه ، أن الخطر لم يزل بعد .

هتف أحد رجال دونا (ماريانا) ، وهو يحاول دفع الباب
الفولاذي في قوة :

— مستحيل يا دونا .. لقد صنعنا هذا الباب بأنفسنا ،
ونحن نعلم أنه من المستحيل اختراقه ، حتى باستخدام قبلة .
صاحت دونا (ماريانا) في غضب هائل :

— لا يوجد مستحيل .. لن أترك هذا الشيطان ينجو أمام
عيني ، لن أتركه يفرّ وأنا عاجزة عن قتله ، وعن قتل الفتاة .
قلّب الرجل كفيه في خيرة ، وهو يغمغم :

— يفرّ ؟ .. من أين يا دونا ؟ .. لا يوجد مخرج للقبو إلا
هذا الباب الفولاذي ، وفتحة التهوية على ارتفاع خمسة أمتار ،
ولن يقفز هذا الشيطان إليها ، ولو كان بطل أبطال العالم في
الوثب العالي .

صرخت (ماريانا) في غضب :

— لست أدري من أين سيفرّ ، ولكنه سيفعل .. إنه
شيطان .. شيطان .

ثم توقفت فجأة ، وبرقت عيناها في شراسة ، وهي تقول :
— فتحة التهوية !! نعم .. إنها الحل الوحيد .

وأطلقت ضحكة شيطانية ، قبل أن تقبض على ذراع
الرجل ، وتقول في عصبية :

— لقد رفضا فكرة الفئران الزائفة ، ولكننا سنعاملهما
كالفئران الحقيقية .

وعادت تطلق تلك الضحكة الشيطانية ، قبل أن تردف في
لهجة أقرب إلى الجنون :

— نعم .. كالفئران الحقيقية .

★ ★ ★

مضت نصف ساعة كاملة ، قبل أن تهدأ (منى) ، وتستعيد
سيطرته على أعصابها المنهارة ، وتقول لـ (أدهم) في توثر :
— ولكن ماذا يحدث ؟ .. وأين (قدرى) ؟

مط (أدهم) شففيه في أسف ، وقال :

— لست أدري ماذا أصاب (قدرى) يا (منى) ،
ولا أين هو .

اتسعت عيناها في دُعر ، وهي عتف :

— يا إلهي !! هل تخلّيت عن (قدرى) ؟

زفر (أدهم) في ضيق ، وقال :

— لقد كان الوقت أضيق من أن أحاول إنقاذكما معاً
يا (منى) ، ولقد كان عليّ أن أختار ما بين إنقاذك أو إنقاذه ،
ولقد قدّرت أن (قدرى) بصفته رجلاً يستطيع أن يعنى
بنفسه ، أما أنت

بتر عبارته فجأة ، والتفت إلى (منى) ، وهو يقول في
حنان :

— ثم إن مجرد تعرّضك للخطر ، يجعلنى أنسى العالم كله
يا عزيزتى .

أطرقت برأسها ، لتخفى احمرار وجهها خجلاً ، وهي
تغمغم :

— أين هو الآن يا ثرى ؟

هز (أدهم) رأسه في أسف ، وقال :

— الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم إجابة هذا السؤال
يا (منى) ، ولكننى أقسم أن أحزّره ، وأن ألقن (تيدى
فولسونج) هذا درساً قاسياً ، لو أننا نجحنا في الخروج من هنا
أحياء .

تطلّعت إلى المكان في يأس ، ثم غمغمت :



ورأيا الماء الغزير ، الذى ينهر من فتحة التهوية ، إلى جوف القبو ..

— أظن هذا مستحيلاً هذه المرة يا (أدهم) .. لقد أصبحنا كالقثران فى المصيدة .

شملهما صمت عميق عند هذه النقطة ، حتى اقتربت هى منه ، وغمغمت :

— (أدهم) .. أعلم أنها نهايتنا ، ولكننى لا أخاف ، فمصير كل مخلوق الزوال ، ويكفينى أن نقضى نحبنا معاً . ربّت على كفها فى حنان ، وهو يقول فى شرود :

— مَنْ يدرى يا عزيزتى ؟ .. مَنْ يدرى ؟
ثم التقى حاجباه فجأة ، وأشار إليها أن تصمت ، وغمغم فى قلق :

— عجباً !! .. يحيل إلى أنه صوت نهر يجرى فى مجراه أو
غمغمت (منى) فى توثر :
— أو ماذا ؟

ولكن صوت تدفق الماء بدا شديد الوضوح ، حتى أنهما أدارا عيونهما إلى مصدره ، ورأيا الماء الغزير ، الذى ينهر من فتحة التهوية ، إلى جوف القبو ، وهتفت (منى) فى دُعر :
— يا إلهى !! .. إنها النهاية يا (أدهم) .

وفي الخارج ارتفعت ضحكة دونا (ماريانا) الشيطانية ،
وهي تصرخ في شراسة وشماتة :
— سنغرقهما كالفتران .. سنغرقهما حتى الموت .
وأخذ القبرو يمتلئ بالماء في سرعة جنونية ، ورأى (أدهم)
و (منى) ظلال الموت تحيط بهما بلا رحمة .

[تَمَّ الجزء الأول]
ويليه الجزء الثاني في العدد القادم
[أفعى برشلونة]

باسم

رقم الإيداع : ٣٦١٩

www.dvd4arab.com